مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

المجلد 20 - الرقم 1 – جوان 2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.
* المقالات الواردة في هذا المقالات هي آراء المؤلفين وهم المسؤولون عنها، ولا تعكس بالضرورة سياسة المجلة أو سياسة الناشر ووجهة نظره.

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

أسّسها الأستاذ **عبد الرحمن الحاج صالح** سنة 2005

المدير المسؤول: **الأستاذ الشريف مريبعي**

رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

رئيس التحرير: **الأستاذ الطاهر لوصيف**

للاتصال بنا:

العنوان: نهج العقيد أحمد بوقرة، رقم 6، الأبيار، الجزائر. ص.ب 402، الأبيار، الجزائر.

الموقع الإلكتروني: https://majala.aala.dz/

البريد الإلكتروني: majala@aala.dz

هاتف: **+213 (23) 48 72 40**

فاكس: **+213 (23) 48 72 41**

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ. الطاهر لوصيف

مساعدة رئيس التحرير: نسرين زعنون

أعضاء لجنة التحكيم: أحمد جعفري (جامعة أحمد دراية بأدرار- الجزائر)، أحمد حساني (جامعة الوصل- الإمارات)، أحمد علي لقم (كلية العلوم الشرعية- سلطنة عمان)، أحمد يوسف (جامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان)، سليم أسامة محمد(جامعة قناة السويس- مصر)، أنيسة داودي (جامعة برمنجهام- بريطانيا)، إياد عبد المجيد إبراهيم العبد الله (جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية- الإمارات)، بشير إبرير (جامعة باجي مختار بعنابة- الجزائر)، بوعبد الله لعبيدي (جامعة محمد بن زايد- الإمارات)، جميلة عاشور (جامعة خميس مليانة- الجزائر)، حبيبة بودلعة (مركز البحث العلمي والتقني في تطوير اللغة العربية- الجزائر)، حسام محمد عزمي العفوري (الجامعة العربية المفتوحة- الأردن)، حسن حمزة(جامعة ليون- فرنسا)، حلومة بوسعدة (جامعة التكوين المتواصل بتونس)، حميدي بن يوسف(جامعة يحي فارس بالمدية- الجزائر)، (الحواس مسعودي (جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان)، خضر محمد أبو جحجوح (الجامعة الإسلامية بغزة- فلسطين)، خليفة بوجادي(جامعة الوصل- الإمارات)، الداودي زاهر (جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان)، ريمة براك (الجامعة اللبنانية- لبنان)، سعيدة كحيل(جامعة باجي مختار بعنابة- الجزائر)، سميرة وعزيب (المجمع الجزائري للغة العربية- الجزائر)، سيد مجاور سكران مجاور (مجمع اللغة العربية بالقاهرة- مصر)، شريف بوشحدان (جامعة باجي مختار بعنابة- الجزائر)، صليحة مكي (مركز البحث العلمي والتقني في تطوير اللغة العربية- الجزائر)، صونية بكال (مركز البحث العلمي والتقني في تطوير اللغة العربية- الجزائر)، طاهر ميلة (جامعة الجزائر 2- الجزائر)، الطيب دبة (جامعة عمار ثليجي الأغواط- الجزائر)، عبد الحميد مدكور (اتحاد المجامع اللغوية العربية)، عبد الرحيم بوقطة (مجمع القرآن الكريم بالشارقة- الإمارات)، عبد المجيد سالمي (جامعة الجزائر 2- الجزائر)، عبد النور جمعي (مركز البحث العلمي والتقني في تطوير اللغة العربية- الجزائر)، علي عبد الأمير عباس الخميس (جامعة بابل- العراق)، عمر بلخير (جامعة مولود معمري بتيزي وزو- الجزائر)، عمر لحسن (جامعة باجي مختار بعنابة- الجزائر)، قدور عمران (المدرسة العليا للأساتذة – الجزائر)، كريمة أوشيش (مركز البحث العلمي والتقني في تطوير اللغة العربية- الجزائر)، ماهر فؤاد الجبالي (جامعة الجوف- السعودية)، محمد آيت مهوب (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- تونس)،محمد خان (جامعة محمد خيضر ببسكرة- الجزائر)، محمدصاري (جامعة محمد الشريف مساعدية بسوق أهراس- الجزائر)، محمد عبد الرحمن يونس (الجامعة النمساوية العربية للعلوم والتكنولو جيا- النمسا)،نعمان بوقرة (جامعة أم القرى- السعودية)، هناء محمود إسماعيل الجنابي (الجامعة العراقية).

محتويات العدد

1. اللغة العربية الفصحى بين المشافهة والكتابة

عبد الرزاق عبيد.....09

2. الكتابة والتواصل من دلالة الوضع إلى دلالة الإيحاء

لبوخ بوجملين.....29

3. التحليل الفيزيائي للحروف المفخمة العربية باستخدام البرمجية الحاسوبية (Praat)

كمال فرات.....43

4. الوضع الراهن لمعاجم الرياضيات في العالم العربي

أبو بكر خالد سعد الله.....69

5. أسلوب الإنشاء في مطالع قصائد المعلّقات

أحمد الأعرج.....89

6. جماليات البنية اللغوية في شعر هند المطيري دراسة نصية في نماذج مختارة

نوير سعيد عبود باجابر.....115

اللغة العربية الفصحى بين المشافهة والكتابة

Modern Standard Arabic: Between Orality and Writing

عبد الرزاق عبيد*

جامعة الجزائر2 - الجزائر

abderrezak.abid2024@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/04/14 - تاريخ القبول: 2024/05/14 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

كانت اللغة العربية الفصحى شأنها شأن جميع اللغات البشرية الطبيعية الأخرى تتشكل من لهجات عديدة متقاربة لا تحول دون التبليغ بين أفراد المتحدثين بها مشافهة، ومع مرّ الزمن أخذت تتقلص شفاهيا وتتوسع كتابيا تاركة المجال للغة عامية هجينة؛ وعليه يتميز المستوى الكتابي بجملة من الخصائص، كما تميز المستوى الشفاهي بجملة من الخصائص الأخرى؛ مما أدى إلى قيام كل واحد منهما بوظائف دقيقة في الممارسات التعبيرية، وهذا ما يستوجب التنبيه على ضرورة العمل العلمي الدائم لجعل اللغة العربية تتصدر جميع الوظائف وتصبح بذلك لغة حيوية تداولية بين جميع أفراد المجموعة اللسانية الناطقة بها.

الكلمات المفتاحية: لغة؛ لهجة؛ سجل؛ تبليغ؛ وظائف؛ حيوية اللغة؛ لسانيات اجتماعية؛ لسانيات تقابلية.

* المؤلف المراسل: عبد الرزاق عبيد

Abstract:

Like all natural human languages, Modern Standard Arabic emerged from multiple closely related dialects that facilitated communication among its speakers orally. Over time, it contracted orally and expanded in written form, clearing space for a hybrid colloquial language. Consequently, the written level of Arabic is characterized by specific features, while the oral level exhibits distinct characteristics, each serving precise functions in expressive practices. This underscores the ongoing scientific endeavor to ensure that Arabic assumes all roles effectively, thereby becoming a dynamic and communicative language among all speakers within its linguistic community.

Key words: language; dialect, register; communication; functions; language vitality; social linguistics; contact linguistics.

يشيع بين عامة الناس وليس خاصتهم أن مصطلح "لغة" ينطبق على اللغة المكتوبة وحدها أي اللغة التي لها خطوط للكتابة، التي تستعمل في المواقف الرسمية كالتعليم والإدارة والصحافة والشعائر الدينية وغيرها . ويشيع بينهم أيضا أن مصطلح "اللهجة" التي يستعملها السواد الأعظم من الناس لا تعد لغة وتخلو من القواعد النحوية والصرفية[1]، وبذلك فهي وضيعة وأنزل مرتبة من اللغة المكتوبة. والواقع أن اللغة العربية الفصحى التي وصلتنا كانت لغة مشافهة قبل أن تكون لغة كتابة، وكانت تتشكل من لهجات عديدة. وما زالت مستمرة في بعض اللهجات ببلادنا غنية بأسماء البيئة الطبيعية والمحيط والنطق الصحيح للأصوات الأسنانية كالثاء والذال والظاء مما يؤهلها لأن تكون كنزا كبيرا لإثراء اللغة العربية الفصحى. وليس اعتباطا أن تسمى إحدى لجان المجمع الجزائري للغة العربية بـ"لجنة قضايا الاستعمال اليومي للغة العربية" وذلك لما في الاستعمال اليومي للهجة من أرصدة تجعلها مصدر سعة للغة العربية الفصحى، وفي الآن نفسه منهجية سليمة لتهذيب المستعمل وتفصيحه، وإدماجه ليكون لغة كتابة ومشافهة يومية.

يجمع المتخصصون في اللسانيات على أن كل لغة تتكون من سجلات عديدة[2]، ومن لهجات[3]، وقد تكون تلك اللهجات تتميز بتأديات مغايرة للنظام التعليمي المدرسي[4]، وأن جميع اللغات البشرية الطبيعية؛ بما في ذلك أنظمتها الثانوية التي هي اللهجات والسجلات، تقوم على مبدأ التقطيع المزدوج[5]، وأن الوظيفة الرئيسية لهما معا في المجتمع هي التبليغ[6]؛ فإذا امتنع التبليغ واستغلقت دلالات التواصل بين المستعملين ولو بصعوبة حينذاك نكون أمام لغة أخرى سواء أكانت مكتوبة أم شفاهية، بعدت أم قربت.

ومعلوم أيضا أن أفراد المجتمعات حتى في أعظم أمم العالم تقدما ورقيا يتواصلون بلغة أو لغات مكتوبة في مواقف، ويتواصلون بلهجة من لهجات اللغة الشفهية في مواقف وأماكن أخرى. ولم تشذ اللغة العربية عن هذه القاعدة فقد كان جميع أفراد المجتمع الجاهلي يعدون فصحاء وإن اختلفت التأديات فيما بينهم[7]. حيث كانوا يتواصلون فيما بينهم بلغة عربية معربة سليقة، ولم تكن اللهجات المستعملة بينهم تحول دون التبليغ فيما بينهم. وما إن يحل العصر الإسلامي حتى يبدأ اللحن أو إن شئنا تبدأ لهجة أخرى في الظهور، وفي مزاحمة اللغة العربية

الفصحى؛ فقد ذكر الأنباري أكثر من خبر يتعلق بالبدايات الأولى للحن أو لهذه اللهجة الجديدة المخالفة لسنن لغة الأعراب ومن ترتضى عربيته على حد قول سيبويه.

فمن الأخبار أن أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فوجد في يده رقعة مكتوب فيها: "الكلام كله اسم وفعل وحرف..."، فأمره أمير المؤمنين أن ينحو هذا النحو. ويذكر أن عليا سمع أعرابيا قرأ (الخاطئين) في الآية الكريمة ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾ [الحَاقَّة: ٣٧] فوضع النحو. ويذكر أن أعرابيا أقرأه أحدهم الآية الكريمة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التَّوۡبَة: ٣] بكسر لام رسوله بدلا من ضمها، فأمر عمر بن الخطاب ﷺ أبا الأسود أن يضع النحو. ويذكر أن زياد بن أبيه هو الذي أمر أبا الأسود أن يضع النحو[8]. فهناك إذن جملة من الأخبار التي تصب في باب واحد هو اللحن الذي أخذ يتغلغل إلى لسان العرب، وأنه لا عاصم من المحافظة على كتاب الله وكلام العرب الفصيح إلا وضع قواعد النحو باعتباره المعيار القويم الذي يحتكم به على الصواب من الخطأ، وهذا ما حدث فعلا، ولكن ما لم يمكن التحكم فيه هو العودة بجميع المستعملين للغة العربية الفصحى إلى سابق عهدها والسبب في ذلك أن "اللغة تتغير على مرّ الزمن كي تستجيب لمتطلبات الإبلاغ داخل المجموعة البشرية الناطقة بها"[9]. ولا يمكن أن يتم التحكم فيها إلا إذا توفرت جملة من الشروط وهذا ما سنتعرض له في آخر هذا المقال.

وإذا حصل أن تخللت لغة العصر الإسلامي الفصيحة الأخطاء النحوية غالبا، فإن العصر الأموي استفحلت فيه ظاهرة الأخطاء المخالفة للغة العرب الفصحاء، فأصابت القواعد النحوية والصرفية كما أصابت المفردات المعجمية. ونكتفي في هذا المقام بشاهد واحد يتمثل في حوار بين الحجاج بن يوسف وأحد النخاسين: "قال الحجاج لرجل من العجم نخاس: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان؟ فقال النخاس: "شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها وكما تجي تكون". فقال الحجاج: ما تقول؟ ففسروا له ذلك"[10]؛ بمعنى أن شريكيه في الأهواز والمدائن يرسلونها إليه على النحو التي هي عليه. والواقع أن الحجاج نفسه وهو الفصيح المصقع لم يسلم لسانه مرة من بعض هذه الهفوات[11].

ويتبين من هذا الشاهد أن هناك مستويين تقابليين في لغة المشافهة. وسيستمر هذان السجلان في الصراع إلى أن يتقلص عدد الفصحاء سليقة ويصبحوا أفرادا بعدما كانوا عشائر وقبائل، مما جعل علماء اللغة والأدباء يتتبعون الأعراب الفصحاء ويتقربون منهم للتأكد من ملحة نحوي أو فهم كلمة غريبة، فكانوا لا يأخذون من الأعرابي حتى يتأكدوا من أنه باق على فصاحته وأنه لم يتأثر بالمحيط اللغوي الهجين الذي صار شائعا في لغة المشافهة خاصة. فكانوا يدسون في كلامهم للمخبر عبارات المولدين مثل: "إذا عزّ أخاك فهن"، أو "مكره أخاك لا بطل" فإذا ارتبك الأعرابي وظهرت عليه علامات الاندهاش والاستغراب تأكدوا من أنه باق على فصاحته، وإن قبلها ولم يستنكرها أعرضوا عنه.

ومع ذلك فإنه "كان لا يزال ممكنا في أوائل العهد العباسي أن يلاقي المرء في جنوب البرتغال في الغرب، إلى خراسان في الشرق، قبائل عربية، وأن يسمع من أفواهها عربية بدوية خالصة لا يشوبها هجنة ولا عجمة"[12].

ومنذ ذلك التاريخ لازم اللغة العربية الفصحى ذلك السجل ولم يفارقها إلى اليوم. وصارت اللغة العربية الفصحى تتعلم في حلقات الدروس ويتدرب عليها الطلاب مشافهة وكتابة، وصارت بجانبها لغة هجينة سليقية يتواصل بها الأفراد في البيوت والشوارع وغيرها. وعندما وصف مروان بن أبي حفصة معاصره حماد الراوية بأنه "لُحنةٌ لحّانة" أجابه معتذرا: "يا أخي إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها"[13].

والحاصل أن اللغة العربية الفصحى استأثرت مشافهة وكتابة بالأدب الرفيع والفكر المبتكر والعلوم وكل ما هو رسمي، واحتكرت اللهجة المشافهة خاصة ولم ترق إلى الكتابة إلاّ لماما. ولعل أهم ما يتميز به كل مستوى من هذين المستويين ينحصر في النقاط الآتية:

* لغة المشافهة أداة سمعية: حيث تبتدئ المتتالية الصوتية بما توفره الرئتان من مخزون هوائي في شكل أصوات مختلفة المخارج والصفات تطرق أذن السامع، وتنتهي بانتهاء ذلك المخزون، ثم تستأنف العملية من جديد كلما تطلب الموقف الخطابي ذلك. ويتعذر على من لا يعرف اللغة أن يميز بين عناصرها. ولغة الكتابة أداة مرئية: تتكون من سلاسل خطية ترمز إلى حروف، وتنعزل كل كلمة عن الكلمة التي تأتي بعدها بواسطة بياضات،

بحيث يسهل على الناظر إليها عموما التمييز بين عناصرها، بقطع النظر عن معانيها لاسيما إذا كان النص يحتوي على علامات التنقيط مما يساعده أيضا على معرفة الجمل والفقرات.

* تتميز لغة المشافهة بالتنغيم: ذلك أن قسما يسيرا من توصيل المعنى يتم بواسطة التنغيم الصوتي، حيث إن رفع الصوت أو خفضه، وجهره أو همسه، وحشرجته أو رقته، كل ذلك يعطي للمتتاليات الصوتية دلالات إضافية زائدة عن حد السياق اللساني الصرف. وإذا كانت عبارة: "صباح الخير" مثلا يراد بها تحية الصباح وفي الوقت المعلوم من النهار، فإنها تصبح بواسطة التنغيم عتابا أو رجاء أو تنبيها أو تحذيرا وهلم جرا. وقد وصل ببعض ممثلي المسرح حد العجب في ذلك، ويذكر رومان ياكبسون أن ممثلا في المسرح الروسي كان يلون صوته في كلمتي "هذا المساء" بما يزيد عن أربعين معنى مختلفا[14].
* لغة الكتابة بديل للأصوات المنطوقة؛ ولكنها بديل غير موضوعي لافتقارها إلى الخصائص الصوتية. ولعل أهم ما تتميز به هو النمطية والسكونية والتساوي الكامل بين الخطوط؛ فلا يختلف رسم حرف أو كلمة من موضع إلى آخر إلا من حيث حجم الخط إن أراد له صاحبه ذلك. وعلى الرغم من تضمين النص المكتوب بعدد من رموز الترقيم إلا أن تلك الرموز تبقى محدودة من حيث التعبير عن كل المواقف التي يقتضيها سياق الحال الصوتي. ولا تزيد عن الفاصلة للسكتة القصيرة، والنقطة للسكتة الطويلة، والتعجب، والاستفهام وغيرها.
* تتميز لغة المشافهة بكونها لغة مطلقة ذات أسلوب مبتذل حر (style relâché) قائم على التلقائية (la spontanéité). وتتميز لغة الكتابة بكونها لغة محافظة ذات أسلوب منتقى (style soutenu) قائم على الإختيار الدائم.
* الوحدة المعيارية للغة المشافهة هي البناء (le syntagme)؛ وهو كل مجموعة من العناصر الواقعة بين سكتتين؛ سواء أكانت اسما أم فعلا أم حرفا أم

جملة. والوحدة المعيارية للغة الكتابة هي الكلمة (le mot)؛ وهي كل عنصر أو مجموعة من العناصر واقعة بين بياضين غالبا.

* تتميز لغة المشافهة بالتساهل في القواعد النحوية بسبب مبدأ الاقتصاد في الجهد المبذول لتوصيل المعنى (قانون المجهود الأدنى= la loi du moindre effort)، فتهبت العلامات النحوية وتتشابك مع الجذور المعجمية إلا إذا تعمد المتكلم نطقها وحرص عليها. ولعل عوامل التساهل والتشابك والتداخل من إدغام للأصوات وحذف وتسهيل وغيرها هي التي جعلت البعض من غير المتخصصين في علم اللغة يعتقدون أن اللغات العامية خالية من القواعد النحوية. وتتميز اللغة المكتوبة بوضوح العلامات النحوية؛ فتظهر للعيان على شكل رموز مصاحبة للجذور المعجمية في اللغة العربية، ولسهولة رؤيتها وبروزها اعتقد البعض أيضا بأنها مقتصرة على اللغات المكتوبة دون الشفوية.
* تقوم اللغة الشفهية على اختصار الكلمات وحذفها أحيانا وإدغام بعضها في بعض، وذلك لتكفل التنغيم الصوتي والظرف المكاني والاجتماعي بإكمال المعنى. وتحتاج اللغة المكتوبة إلى إتمام الكلمات وعدم اختصارها وإطالة نسيجها مهما بلغ، وكل حذف أو نقص في التركيب قد يؤدي إلى اللبس والغموض في توصيل المعنى لأن اللغة المكتوبة تقوم على المعيارية في كل عنصر من عناصرها.
* تتميز لغة المشافهة بحضور المرسل والمتلقي في مكان واحد، وعليه جريان المشافهة في زمن واحد (باستثناء وسائل الاتصال الحديثة اليوم من هاتف، وشابكة وغيرها). وتتميز لغة الكتابة بغياب المرسل عن المتلقي وإمكانية اختلاف زمن الكتابة عن زمن القراءة.
* تقوم اللغة المكتوبة كليا على السيمياء كتابة ورموزا.
* تتميز اللغة الشفوية عن الخطية الزمانية؛ بمعنى تعاقب الفترات الزمانية لتعاقب الأصوات الكلامية. وكذلك عدم القدرة على تصويب الهفوات اللسانية والأخطاء اللفظية لمرور الزمن المخصص لكل حرف، إلا إذا تراجع المتكلم عن الخطأ ولكن ذلك سيكون على حساب زمن جديد آخر. وتتميز

اللغة المكتوبة بالخطية المكانية؛ بمعنى وجود مساحة فارغة لتصوير الحروف. وخلافا للغة الشفاهية فإن اللغة المكتوبة تقبل تصويب الأخطاء بالشطب تارة والمحو تارة أخرى والتفكير الطويل في إنجاز كل حرف من حروفها دون أن يؤثر ذلك كثيرا في محتوى الخطاب اللغوي زمنيا.

* تتميز جمل اللغة الشفوية بالبساطة والِقصَر وعدم التعقيد. وتتميز جمل اللغة المكتوبة بالتعقيد والطول وتفرع الجمل بعضها عن بعض والتقديم والتأخير وهلم جرا.
* يتميز معجم اللغة الشفوية غالبا بالكلمات المألوفة، وبالتكرار والحشو واستعمال العبارات المنمطة التي لا وظيفة لها في اللغة أحيانا سوى الإبقاء على مواصلة الحديث، مثل: هل فهمتني، أتسمعني، أأنت معي... إلخ. ويتميز معجم اللغة المكتوبة عادة بالكلمات المختارة والمعبرة عن المعاني الدقيقة، وبتجنب التكرار والحشو والكلمات الزائدة عن حد تبليغ الخطاب.

إن هذه النقاط التي أتينا على ذكرها تبين بوضوح أن الفروق بَيِّنة بين اللغة الشفهية واللغة المكتوبة في جميع الألسنة البشرية سواء أكانت فصحى أم عامية. وهذا التمييز لا يعني تفضيل إحداهما عن الأخرى بقدر ما يعني أن لكل منهما وظيفة لا غنى عنها في المجتمع، ذلك أننا نستخدم اللغة في العديد من الوظائف يوميا دون شعور منا. فاللغة التي نكتب بها غير اللغة التي نتشافه بها. واللغة التي نتشافه بها نصنفها تصنيفات عديدة أيضا؛ من لغة منتقاة بعد أن نكون قد أخضعناها للمراقبة الذهنية الدقيقة، إلى لغة تلقائية غير مراقبة قد تصل حد الابتذال أحيانا مع الأصدقاء الحميمين. ومن لغة للتعامل مع الباعة والتجار إلى سجلات للتعامل مع الأطفال الصغار كتابة ومشافهة.

إننا حينئذ أمام سجلات (registres) متعددة ومستويات مختلفة من لغات المشافهة وليس لغة واحدة. وهذه المستويات أو السجلات قد أحس بها علماؤنا القدامى كما أحس بها المعاصرون؛ فهذا الجاحظ مثلا في كتاب "البيان والتبيين" يكتب قائلا: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من

ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات. وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[15].

وكما أنه لا يستقيم أن نكتب رسالة جامعية أو موضوعا فلسفيا باللغة العامية، فإنه لا يستقيم أيضا أن نكتب كلام السوقة والدهماء والغوغاء في بعض المواقف بلغة الأدباء والعلماء. وهذا ما نبه إليه صاحب "البخلاء" في مقدمة كتابه قائلا: "إن وجدتم في هذا الكتاب لحنا وكلاما غير معرب، ولفظا معدولا عن وجهته فاعلموا إنما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الباب، ويخرجه عن حده إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء وأسماء العلماء كسهل بن هارون"[16].

وكما تختلف السجلات اللغوية لدى الفرد الواحد، فإنها تختلف أيضا لدى الجماعات اللسانية المتباعدة مساحة ومكانا، وليس صحيحا أبدا أن لغات الأمم المتحضرة منسجمة تماما كتابة ومشافهة، ومتطابقة تماما ناحية وجهة. وما أكثر الدراسات اللسانيات الاجتماعية في هذا الموضوع؛ وهي دراسات تناولت الجوانب الصوتية والإفرادية خاصة، والجوانب التركيبية/الصرفية عامة، وهي اختلافات يرصدها الباحثون المدربون، ويحس بها الأفراد الذين يقيم بعضهم قرب بعض، ولا يشعر بها الغرباء الأبعدون عن اللغة إلاّ قليلا.

من البديهي اليوم -كما ذكرنا آنفا- لدى جل اللسانيين المعاصرين أن لسان كل أمة هو عبارة عن جمع من اللهجات التي تصل حد التباين -في بعض الأحيان- أصواتا ومفردات؛ فما من لغة حينئذ إلا وتتسم بعدد معين من الاختلافات اللهجية. يقول ج. أ. فيشمان: "إن اللغات الشفهية في المساحات الشاسعة غالبا ما تنطق بكيفيات قد تكون شديدة الاختلاف، وهذه الاختلافات قد تكون ذات طابع صوتي (فونولوجي)، كما هو الحال مع {الرئيس} كنيدي (KENNEDY) الذي كان يقول: (Cuber) بدلا من (Cuba) ويقول: (Vigah) بدلا من (Vigor). وفي الآن نفسه كان المواطن من فيلادلفيا (PHILADELFIE) يقول: (Cubah) و(Vigah). والاختلافات اللهجية قد تتعلق بالمفردات...كما تتعلق بأقسام الكلام الأخرى مثل النظام النحوي"[17].

إن بعد الأمصار يؤدي حتما إلى خلق اللهجات، واختلاف الطبقات يؤدي أيضا لاختلاف السجلات والمستويات اللغوية. غير إن هذا الاختلاف لا يحول دون عملية

التواصل بين أفراد الجماعة اللسانية المنتمية للغة نفسها، ولا أدل على ذلك من اختلاف اللغة الفرنسية في باريس عن اللغة الفرنسية في مارسيليا، أو اللغة الفرنسية الشفهية في فرنسا من جهة، وكندا أو بلجيكا أو سويسرا من جهة أخرى. في حين أنه لا تختلف دولة عن دولة أخرى في مستوى الكتابة للأسباب التي ذكرناها آنفا، حتى أن القارئ الذي يجهل الموطن الأصلي للكاتب لا يمكنه أن يستنتج شيئا من خلال الكتابة المعيارية، ويكتشف بسهولة تامة موطنه إن تلفظ ببضعة كلمات مشافهة.

وليس هذا بالشيء الجديد، وإنما هو قديم فقد سبق لعلماء العربية أن دوّنوه منذ أمد بعيد فقد كتب الجاحظ قائلا: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام"[18].

إن اختلاف اللهجات ليس حكرا على وطننا العربي الحديث دون القديم، ولا على العرب دون غيرهم من الأمم الأخرى. وإذا كانت لغات بعض الأمم اليوم تقترب فيها نسبيا لغة العامة من لغة الخاصة، واللغة الشفوية من اللغة المكتوبة، فليس ذلك بسبب نزول الخاصة إلى العامة، وإنما سبب ذلك هو علو المستويات الثقافية والتعليمية.

إن رسالة الباحثين اليوم على اختلاف تخصصاتهم هي رفع مستوى العامية بواسطة التعليم ووسائل الإعلام المختلفة لتقترب من مستوى الفصحى. وليرحم الله الجاحظ عندما قال: "من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما... والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة. وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. وكذلك اللفظ العامي والخاصي. فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام"[19].

إن الوصول إلى "المعنى الشريف، والصواب، وإفهام العامة، وإحراز المنفعة" بمعنى الرفع من قيمة اللغة العربية في جميع مناحيها أفكارا وعلما ووظيفة هو ما

يجعلها لغة حية، ولغة حيوية دولية بين العامة والخاصة، وفي بلادها وخارجها[20]. ذلك أن اللغة ليست أداة تبليغ وحسب؛ بل هي محرك اجتماعي قوي في يد المجموعة اللسانية بما تحمله من تجارب وخبرات ومفاهيم علمية؛ فإذا أحسنت المجموعة توظيفها رفعتها، وإن قللت من شأنها وأهملتها حطتها، وتراجعت عنها. وأهم المؤشرات التي تتسبب في تراجع اللغة تتمثل في قلة الوظائف الاجتماعية المسندة لها، وضعف انتقالها من جيل إلى آخر، وفيما إذا كانت في حالة ازدواجية مع لغة أخرى أقوى منها مكانا وعلما ووظائف.

وأما أسباب قوة اللغة وحيويتها فتتمثل في أعداد المتحدثين بها، وسلوكهم تجاهها، وتعبئة المجتمع، والدعم الحكومي والمؤسساتي لها، والسياسة اللغوية في ميدان التربية، والتخطيط اللغوي[21].

وعليه نكرر القول: إن من أسباب جعل اللغة العربية لغة حية كتابة ومشافهة هو:

1. أن يعتز مجموع أفرادها بلغتهم ويعظموها ويوقروها ويتجندوا لها، وأن يؤمنوا بها ويعملوا على جعل الآخرين أيضا يعظمونها ويعترفون بدورها في موطنها الأصلي وخارجه. إن اعتزاز الأمة بلغتها شرط فعال لبقائها لغة حياة يومية راقية تثرى بما فيها من إمكانات داخلية وتتقوى بما يصلها من روافد خارجية؛ ذلك أن اللغة الحية حقا هي التي تكون قادرة على استيعاب ما يدخل فيها وهضمه وإخضاعه إلى قواعدها الخاصة بها. يقول أوغيستو كارلي: "إذا كانت اللغة تتفاعل مع الضغوط الخارجية وذلك بإدخال العناصر الخارجية بكيفية ما، وتكييفها مع نظامها اللساني الداخلي فإنه يمكن اعتبار قوة الدمج تلك والتكييف كدليل حقيقي على حيويتها اللسانية"[22].
2. المساحة الجغرافية الواسعة والكثافة السكانية: إن اللغة العربية تعد واسعة الانتشار ولا تعد لغة أقلية إلا إذا قورنت باللغة الإنجليزية المهيمنة اليوم على العالم كله تقريبا، وحصار اللغة الفرنسية لها عندنا في الجزائر؛ فقد كانت اللغة العربية ولا تزال تتربع على مساحة جغرافية تمتد من ضفاف المحيط الأطلسي إلى بحر العرب، فإذا أضفنا إليها العالم الإسلامي

ممثلا في الشعوب التي اعتنقت الإسلام وما فيه من تراث باللغة العربية مشافهة وكتابة، ولا سيما في الشؤون الدينية، فإنه يمكنها فعلا أن تكون من اللغات القوية الحية بجدارة.

3. الوظائف: تعد اللغة حيوية كلما كانت لها وظائف تغطي جميع مجالات الحياة. وإذا كان نصيب اللغة العربية المكتوبة كبيرا نسبيا في عدد من الوظائف مما يؤهلها للبقاء والتقدم إلى الأمام والصدارة، فإن نصيبها من المشافهة في الكثير منها ضئيل بالنظر إلى المساحة الجغرافية التي تتربع عليها، والكثافة السكانية التي تتشكل منها. ولهذا يجب أن نبذل جهدا كبيرا في موضوع المشافهة خاصة، وذلك بتشجيع الأجيال على التواصل بالفصحى، وتشجيع الفرق المسرحية ونوادي الخطابة ووسائل التواصل الاجتماعي والصحافة المسموعة والمرئية، وفوق كل هذا ترتيل القرآن الكريم بصوت مسموع وإنشاد الشعر كي تتحرر الألسنة، وتحل عقدة التلعثم الملازمة لكثير من المتخصصين.
4. إن اللغة العربية لها تاريخ حافل بالإنتاج الأدبي والعلمي قلما وصلت إليه اللغات الأخرى، وهو سند قوي يؤهلها أن تنافس اللغات الأخرى لما فيها من ذخائر علمية ومخطوطات، ومادة غزيرة جاهزة يمكن بشيء من الجهود أن تعبأ وتعبئ المجتمع لينطلق منها.
5. الدعم السياسي: تتوفر اللغة العربية الفصحى على دعم سياسي من قبل جميع الدول العربية تقريبا ومن كثير من المؤسسات الدولية؛ وهو دعم يتمثل في هذه المجامع اللغوية المنتشرة في أغلب الدول العربية وفي شيء من التعليم بمراحله المختلفة، غير أن هذا ليس كافيا، ولكي تأخذ اللغة العربية مكان الصدارة التي هي جديرة بها يجب أن تكون هي أداة التبليغ كتابة ومشافهة في "أماكن صنع القرار من إدارة ومؤسسات خاصة وعامة وتعليم وخدمات اجتماعية وعدالة وصحة واقتصاد وصناعة وثقافة، ووسائط إعلامية، وجمعيات مدنية ترفع لواءها وتدافع عنها[23].

ويبقى عامل أساسي ومهم جدا هو تربية النشء على التواصل باللغة العربية الفصحى؛ فالأطفال عند اكتسابهم للغة لا يفرقون بين سجلاتها ولا بين مستوياتها

ولا حتى بين اللغات الأجنبية كالفرنسية والانجليزية مثلا، فهم يتعلمون وكفى. وقد لاحظت الدكتورة شريفة غطاس والدكتور رابح دوب في محاضرتيهما حول لغة الأم[24] أن الأطفال في مرحلة التعليم الابتدائي يتواصلون بلغة عربية سليمة ولكنهم ما إن ينتقلون إلى المراحل التكميلية حتى تتغلب عليهم العامية الشفوية، وتتلعثم ألسنتهم، وهذا ما نشاهده اليوم حتى في المراسلات القصيرة المكتوبة لطلبة الجامعة التي يكتبها بعضهم لبعض، وأحيانا يتوجهون بها إلى أساتذتهم. وأما المشافهة بلغة عربية فصيحة فقلما نسمعها في غرف الدراسة فضلا عن المحيط. ومعنى هذا أن هناك مشكلة في نقل اللغة من جيل إلى آخر؛ ذلك أنه "كلما انتقلت اللغة من جيل إلى آخر كلما ازدادت حيويتها، وكلما تعطل نقلها كلما قلت حيويتها"[25]؛ ورحم الله الشيخ عبد الحميد بن باديس القائل:

يا نشء أنت رجاؤنا*** وبك الصباح قد اقترب.

- الإحالات والهوامش:

[1] اهتم الباحثون الفرنسيون إبان الحقبة الاستعمارية باللهجة العامية في المغرب العربي ولاسيما في الجزائر، ووضعوا عددا من المؤلفات في النحو والصرف والمفردات والسياقات، وكانوا أحيانا يضمّنون تلك المؤلفات نصوصا عامية كاملة مترجمة للغة الفرنسية. ولم يكن ذلك حبا في العربية وإن كانت عامية ولكن لمساعدة المعمرين والسلطات العسكرية في الاستيلاء على البلاد والعباد، وهو الهدف الرئيس، ومحاربة واستبعاد اللغة العربية الفصحى التي يعلمون أنها أكبر مقوم، وأهم عنصر من عناصر هوية الشعب الجزائري، فحاولوا بشتى الطرق طمسها ومحاربتها واستبدالها بالعامية في التعليم، وشجعوا العامية لتكون هي لغة الإدارة. غير أن الشعب الجزائري تمسك بلغته، وأنشأ لها المدارس الخاصة والزوايا والكتاتيب وحافظ عليها إلى أن استقلت البلاد فاستعادت اللغة العربية مكانتها.

ويلاحظ من خلال القائمة القصيرة الآتية أن التأليف بالعامية قد شرع فيه مباشرة عند دخول الاستدمار الفرنسي، واستمر النشر بالعامية إلى غاية استقلال الجزائر:

- Sylvette Larzul, Grammatisation et lexicographie de l'arabe algérien au XIX s.

- Joanny Pharaon, Grammaire élémentaire d'arabe vulgaire, ou algérienne à l'usage des français, Toulon, 1832 .

- Jean Joseph Marcel, Le Vocabulaire français - arabe du dialecte vulgaire d'Alger, de Tunis et de Maroc, à l'usage des militaires français, 1830.

- Benjamin Vincent, Vocabulaire français - arabe, suivi de dialogue à l'usage de l'armée d'expédition d'Afrique,1830.

- Jean –Honora Deleporte, Principe de l'idiome arabe en usage à Alger, 1836.

- Alexandre Bellemar, Grammaire arabe (idiome d'Algérie) à l'usage de l'armée et des employés civils de l'Algérie, 1850.

ينظر أيضا:

- P. M. Bresnier, La Grammaire arabe: Principe élémentaire de la langue arabe, revue africaine, n° 11, 1867, pp 251-256.

- Auguste Cherboneau, Observations sur l'origine de la langue africaine, revue africaine, n°12, 1868, pp 69-78.

- Auguste Cherboneau, Observation sur le dialecte arabe de l'Algérie, In: revue africaine, n° 13, pp 288-314.

[2] أول من استعمل مصطلح السجل (registre) هو: (ريد – Reid) في الخمسينيات من القرن الماضي ويعني به: كل خاصية لسانية تتطابق مع حالة اجتماعية معينة، وهو عند (فرغيسون –

Ferguson) حالة تحيل إلى نظام لساني ثانوي يتميز بعدد من البنى الخاصة، التي لا تستعمل إلا في ذلك المقام، فهو ذلك الاستعمال الذي نتوجه به لمخاطبة الأطفال، أو الكتابة إليهم، أو للتعاليق على المباريات الرياضية، أو حتى وصفات الطبخ. ينظر:

Marie-Louise Moreau, Sociolinguistique : Concepts de base, Liège, Pierre Mardaga édition, 1997, p238.

[3] اللهجة (dialecte) في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض [...] وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1984م، ص16.

[4] Ibid, Marie-Louise Moreau, Sociolinguistique : Concepts de base, p120.

[5] Bernard Pottier, Le Langage : Les encyclopédies du savoir moderne, Paris, Centre d'étude et de promotion de la lecture, 1973, p80.

[6] أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، وَ: إش: عبد الرحمن الحاج صالح وفهد عكام، المطبعة الجديدة، دمشق، 1984-1985م، ص.ص21، 22.

[7] قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمّى "الألفاظ والحروف": كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، أسهلها على اللسان عند النطق [...] والذين عنهم نقلت اللغة العربية [..] هم قيس، وتميم، وأسد [...] ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن حضري قط [...] ولا من لخم ولا من جذام [...] ولا من قضاعة وغسان وإياد [...] ولا من تغلب واليمن [...] ولا من بكر [...] ولا من عبد القيس وأزد عمان [...] ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، و لا من ثقيف وأهل الطائف [...] ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم. (بتصرف). ينظر:

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شر وضب وتص وتع: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ج1، ص.ص211- 213.

[8] أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط2، 1970، ص.ص18- 21.

[9] أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، ص13.

[10] أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، شر وضب وتع وتر: يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ – 1986م. ص.ص175، 176.

[11] المرجع نفسه، ص176.

[12] يوهان فك، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت، ص18.

[13] المرجع نفسه، ص.ص70، 71.

[14] R. JAKOBSON, Essais de Linguistique Générale, Paris, éd de minuit, 1973.

[15] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، بيروت، 1968، ج1، ص97.

[16] الجاحظ، البخلاء، دار صادر للطباعة والنشر وَدار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1963، ص1.

[17] A. Fishman, Sociolinguistique, Paris, Nathan-Bruxelles, Labor, 1971. p31

[18] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص17. وَ: ينظر أيضا: الخبر الطريف المروي عن محمد بن المناذر الشاعر في نفس الصفحة، والذي لم نذكره لطوله.

[19] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص95.

[20] عبد الرزاق عبيد، رحلة الكلمات العربية إلى اللغة الفرنسية، مجلة الممارسات اللغوية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. مج12، ع4، 2021، ص.ص9-25.

[21] Jean Romain Kuiesso, Frankline Labergere Dtchebeba Derjeugang, Transmission intergénérationnelle et vitalité de la langue Kom, Cameroun, revue akofena, n° 006, V1, 2022, p262.

[22] Nadia Lakhdari, La vitalité ethnolinguistique de la communauté algérienne de Montréal de langue maternelle arabe, Université de Québec à Montréal, 2008, p10.

[23] Augusto Carli, Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique, in: revue de Linguistique Latine du Centre Alfred Ernout, n° 8, 2012, p3.

[24] Eric Forgues, Autonomie, vitalité et identité des communautés en situation minoritaire : Proposition d'un cadre conceptuel, International Journal of Canadian Studies, n° 42, 2010, p189.

[25] شريفة غطاس، واقع استعمال اللغة العربية بين البيت والمدرسة، محاضرة في مقر المجمع الجزائري للغة العربية بتاريخ: 2024/02/21. وَ: رابح دوب، تهذيب السنن اللغوي بين تلقائية لغة الأم ومعيارية اللغة الأم، محاضرة في مقر المجمع الجزائري للغة العربية بتاريخ: 2024/02/21.

- قائمة المصادروالمراجع:

* المراجع باللغة العربية:

1. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الأخبار، شرح وضبط وتعليق وترتيب: يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ – 1986م.
2. الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، الطبعة الثانية، 1970.
3. أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة: أحمد الحمو، وَ: إشراف: عبد الرحمن الحاج صالح وفهد عكام، المطبعة الجديدة، دمشق، 1984-1985.
4. أنيس (إبراهيم)، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، 1984.
5. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البخلاء، دار صادر للطباعة والنشر وَدار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1963.
6. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، بيروت، 1968، الجزء الأول.
7. دوب (رابح)، تهذيب السنن اللغوي بين تلقائية لغة الأم ومعيارية اللغة الأم، محاضرة في مقر المجمع الجزائري للغة العربية بتاريخ: 2024/02/21.
8. السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، الجزء الأول.
9. عبيد (عبد الرزاق)، رحلة الكلمات العربية إلى اللغة الفرنسية، مجلة الممارسات اللغوية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، 2021.
10. غطاس (شريفة)، واقع استعمال اللغة العربية بين البيت والمدرسة، محاضرة في مقر المجمع الجزائري للغة العربية بتاريخ: 2024/02/21.
11. يوهان فك، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دون تاريخ.

* المراجع باللغة الأجنبية:

1. A. Fishman, Sociolinguistique, Paris, Nathan-Bruxelles, Labor, 1971.
2. Alexandre Bellemar, Grammaire arabe (idiome d'Algérie) à l'usage de l'armée et des employés civils de l'Algérie, 1850.
3. Auguste Cherboneau, Observations sur l'origine de la langue africaine, revue africaine, n°12, 1868.
4. Auguste Cherboneau, Observation sur le dialecte arabe de l'Algérie, revue africaine, n° 13.
5. Augusto Carli, Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique, revue de Linguistique Latine du Centre Alfred Ernout, n° 8, 2012.
6. Benjamin Vincent, Vocabulaire français - arabe, suivi de dialogue à l'usage de l'armée d'expédition d'Afrique,1830.
7. Bernard Pottier, Le Langage : Les encyclopédies du savoir moderne, Paris, Centre d'étude et de promotion de la lecture, 1973.
8. Eric Forgues, Autonomie, vitalité et identité des communautés en situation minoritaire : Proposition d'un cadre conceptuel, International Journal of Canadian Studies, n° 42, 2010.
9. Jean Honora Deleporte, Principe de l'idiome arabe en usage à Alger, 1836.
10. Jean Joseph Marcel, Le Vocabulaire français - arabe du dialecte vulgaire d'Alger, de Tunis et de Maroc, à l'usage des militaires français, 1830.
11. Jean Romain Kuiesso, Frankline Labergere Dtchebeba Derjeugang, Transmission intergénérationnelle et vitalité de la langue Kom, Cameroun, revue akofena, n° 006, V1, 2022.
12. Joanny Pharaon, Grammaire élémentaire d'arabe vulgaire, ou algérienne à l'usage des français, Toulon, 1832.
13. Marie-Louise Moreau, Sociolinguistique : Concepts de base, Liège, Pierre Mardaga édition, 1997.

14. Nadia Lakhdari, La vitalité ethnolinguistique de la communauté algérienne de Montréal de langue maternelle arabe, Université de Québec à Montréal, 2008, p10.
15. P. M. Bresnier, La Grammaire arabe: Principe élémentaire de la langue arabe, revue africaine, n° 11, 1867.
16. R. JAKOBSON, Essais de Linguistique Générale, Paris, éd de minuit, 1973.
17. Sylvette Larzul, Grammatisation et lexicographie de l'arabe algérien au XIX s.

الكتابة والتواصل من دلالة الوضع إلى دلالة الإيحاء

Writing and Communication: From Denotation to Connotation

لبوخ بوجملين*
جامعة الحاج لخضر بباتنة - الجزائر
laboukh.boudjemline@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/05/12 - تاريخ القبول: 2024/05/22 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

كلُّ تواصل لساني هو محاولة لتأسيس مبدأ إنساني مُعلّل يسعى إلى إخراج الفرد من عزلته، ودمجه قسرا في شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة على الوعي بضرورة الحوار والتعايش؛ ومن هنا تبدأ اللغة في ممارسة سلطتها المطلقة في تحديد طبيعة هذا التواصل وتمثلاته حينما تتكفل بتحويل العالم إلى أنساق من المفاهيم؛ فتنشأ بذلك مراتب المعرفة وتتبلور الأفكار، وتتحول حواراتنا الرتيبة الجافة بفعل النزعة البراغماتية إلى إبداع وفن وثقافة. وعكس تصوراتنا الساذجة لواقع الحياة، فإن علاقاتنا الحقيقية لا يمكنها أن تستمر إلا وفق ما تمليه سلطة الفهم التي تنشأ تبعا لإملاءات مرهونة بالفعل الثقافي المهيمن. إن الألفة الواقعة بين الراهن والمستقبل ترصعها ثلاثية الهوية واللغة والثقافة التي تتجلى بالكتابة؛ وعليه فالكتابة ليست مسألة صياغة لغوية فحسب، بل طريقة في التفكير والتحليل والوجود، النصي منه على الأقل، إنها شكل حضور الذات في اللغة والفكر، حضور يقوم على التأسيس لتأويل يعتمد الحرية الذاتية للقارئ في بناء النص؛ ولذلك فمن خطاب الكينونة إلى خطاب المأمول نتحدد للآخر.

الكلمات المفتاحية: الكتابة؛ اللغة؛ الفهم؛ المعنى؛ التأويل؛ الهوية؛ الثقافة.

* المؤلف المراسل: لبوخ بوجملين

Abstract:

Every act of verbal communication strives to establish a rational human principle that seeks to bring individuals out of isolation and forcibly integrate them into a network of social relationships based on awareness of the necessity of dialogue and coexistence. Language, therefore, exercises its absolute authority in defining the nature of this communication and its representations, transforming the world into frameworks of concepts. Thus, hierarchies of knowle²dge emerge, ideas crystallize, and our routine dialogues, driven by pragmatism, evolve into creativity, art, and culture. Contrary to our naive perceptions of life reality, our genuine relationships can only endure according to the authority of understanding dictated by cultural dominance. The affinity between the present and the future is adorned with the trinity of identity, language, and culture, manifested through writing. Therefore, writing is not merely a matter of linguistic formulation but a method of thinking, analysis, and existence, at least textually. It is a form of self-presence in language and thought, a presence that establishes interpretation based on the reader's autonomy in constructing the text. Hence, from discourse on existence to discourse on aspiration, we define ourselves to others.

Key words: writing; language; understanding; meaning; interpretation; identity; culture.

- مقدمة

الكتابة هي المخرج الأول من غياهب الوحدة، والعدول هو الكلمة المعبّرة عن هلامية التاريخ وامتداد المعرفة وعمقها؛ لأنه يعطي للكلام الذاتي القدرة على الانكتاب باسم الدراية والمعرفة الضائعتين في جرف الماضوية؛ ماضوية وتاريخية الإنسانية التي لا نجد لها أثرا إلا بين طيات المعرفة العليا والمعمقة، التي تقدّم مقروئيتها في علامات وإشارات خالدة داخل لغة الفرد.

إننا نترصد الكتابة النوعية قصد تجاوز محدوديتنا القاتلة وعدم مجاراة التلاعب بالكلمات المجحفة. وحدها موسوعيتُنا القادرة على إطفاء عطشنا المزمن للمعرفة، موسوعية تعضدها شرعية أدبية ومشروعية الكلمة الفاضلة المتولدة عن لغة متعالية تذيب جليد مفارقات الاختلاف والتعارض.

1. سلطة اللغة وسلطة الفهم

إن الظواهر اللسانية ينبغي أن تصنف من وجهة نظر الهدف الذي تتوخاه الذات المتكلمة في كل حالة على حدة، فإذا كانت الذات تستعمل تلك الظواهر بهدف علمي صرف أي التوصيل، فإن المسألة تكون متعلقة بنظام اللغة اليومية (نظام الفكر الشفوي) حيث لا يكون للمكونات اللسانية (الأصوات، عناصر الصرف) أي قيمة مستقلة، ولا تكون هذه المكونات سوى أداة توصيل. ولكننا نستطيع أن نتخيل أنظمة لسانية أخرى -وهي موجودة بالفعل- حيث يتراجع الهدف العلمي إلى المرتبة الثانية، مع أنه لا يختفي تماما فتكتسب المكونات اللسانية إذ ذاك قيمة مستقلة[1].

هناك لغتان تتوفران على دلالتين مختلفتين ومتعارضتين في المستوى النفسي: الدلالة الوضعية والدلالة الإيحائية؛ فالدلالة الأولى تُعيّن الشيء وتحيل العالم إلى نسق من المفاهيم: تُذوّق العالم وتموضعه لتضمن المعرفة؛ وأما الدلالة الثانية فتحيل على المعنى العاطفي: تُذوّق العالم وترسم الأثر الذي تتركه فينا الأشياء، تحيل إلى المعيش، إلى لحظات الوجود، وتعمل الدلالة الإيحائية في خط معاكس للدلالة الوضعية وذلك قصد إبطال التحييد الذي تلصقه الدلالة الوضعية بالأشياء.

عندما نتكلم عن اللغة، فنحن نتكلم عن الفطرة التي تزعم أن الأصوات والحركات قد تفجرت في صدر الإنسان الطبيعي بصورة لا إرادية بفعل تأثير

الحدوس، وبفضل وجود آليات سيكو-فيزيائية جاهزة فطريا، وأن هذه الأصوات السماعية والحركات كانت مفهومة بذاتها[2]. وأما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم بحسب ابن جني.

يقرّبنا هذا التأكيد على فطرية اللغة أكثر فأكثر من طابعها الفردي في صياغة الواقع كما هو مجسد، ولا أثر له خارج رهان اللغة. كما نجد أنفسنا أمام شيء مُعَد في جوهره لصالح مفهوم اجتماعي باعث للمنتَج الثقافي النابع عن نشاط تأويلي موجِّه للروابط الحضارية، فاللغة لا تؤسس نظرتنا للواقع فقط، بل تنظم عوالم المعنى المتنوعة التي تساهم في رسم ملامح الهوية الفردية والجماعية، "فإن اتفق أن لا يوجد للمعنى لفظ مناسب معتاد، فليُخترع له لفظ..."[3]، ومن هذا المنطلق، فإن الشكل اللغوي لا يطرح أية مشكلة البتة، ولكنه السياق الذي يحمل في ذاته درجات متفاوتة من الدلالات المتنوعة.

كما أن هذا لا يبعدنا عن تصور "بنفنيست" لعلاقة الذات باللغة، الذي يعتبر أن الذات لا تتشكل من حيث هي كذلك إلا باللغة وعبرها، وأن الذاتية في اللغة تعني قدرة الذات على أن تطرح نفسها في اللغة وتحضر فيها من خلال مجموع العلامات اللسانية الدالة على ذلك[4]. وعليه فهل اللغة بمظهرها الحالي كافية لتحقيق فعل تواصلي كامل عبر حملها للمعنى، أم أنها تشارك بشكل عميق في صناعة هذا المعنى في صورته النهائية؟ وماذا عن الكتابة؟

"اللغة كفاح مستمر بين الحاجة إلى التعبير عن المعقد من الفكر، والرغبة في الحفاظ على بساطة العبارة"[5]، من هذا المنطلق المفهومي الذي نستكشف من خلاله خفايا تشعّبات اللعبة اللغوية يمكننا أن نستدرج العديد من القضايا الراهنة المتعلقة بالفعل التواصلي المستمر عبر السلوك المتنوع النابع من عبقرية الفكر البشري منذ الحدث الكلامي الأول، هذا الحدث الحمال للشعلة الإنسانية، إذ أن اللغة في مستواها السطحي المتأتي لعامة الناس، تُظهر شكلا آنيا من طواعية الاستعمال إلى درجة يختفي معها المعنى في أبسط مظاهره.

"إن كل محادثة تستلزم يقينا أن يتكلم المتحادثان اللغة نفسها، فالمحادثة هي سياق تفاهم، وكل محادثة حقة تفترض إذن، أن نعير اهتماما لما يقوله الآخر، وأن

نعطي وجهات نظره حقها، ومن ثم أن نضع أنفسنا مكانه؛ بمعنى أن نسعى إلى فهم ما يقول، لا إلى فهمه هو"[6].

أن نتواصل فيما بيننا يعني أننا نؤكد حضورا نفسيا واجتماعيا وثقافيا، ونضع حدودا لوجودنا بواسطة الكلمات والنغمات والأشكال المتنوعة من العبارات الكاشفة عن ماهية الأفكار المتشابكة، لكن مكمن التحدي في كل ذلك هو أن نزاول لعبة المراوغة مع الكلمات للبحث عن التعبير الأمثل والأسهل؛ ضرب من التفتيش عن زخم التمايز والتمازج، بعيدا عن عجز العبارة وضيقها في مقابل الاتساع اللامتناهي للإشارة، ولكنه التمدد بالألفاظ، والاتساع بالفكرة الواضحة، وسط محيط ثقافي متواطئ مع خلود العبارة في فضاء المجاملات، وتجاوزا للحوار المستحيل.

إننا نتجاوب مع الفلاسفة والشعراء ونصغي إليهم باستمرار، ولكن هذا التجاوب المشترك لا ينهض دليلا على أننا نتجاوز انفعالاتنا، وانفعالاتنا مهمة، ولكن الانفعال متميز عن المعنى الوضعي.

في رحلة البحث عن فهم النص نحتاج إلى فهم ثلاثة مكونات: المكون التداولي والمكون الدلالي والمكون النحوي. يرتبط الفهم الدلالي بفهم وسائل نحو النص ارتباطا وثيقا. وأما الفهم التداولي المرتبط أساسا بالفهم الدلالي فإنه يتضح في معرفة نمط الفعل الكلامي، وينجم عن المعرفة المسبقة لشركاء التواصل حول التضمين الاجتماعي لفعل التواصل.

حسب كاسيرر فإن مفهوم الرمز (symbole)الذي يعني "الطاقة الفكرية التي بواسطتها يصبح مضمون معين من الدلالات الفكرية مرتبطا بعلامات حسية وواقعية متطابقة"[7] يؤدي إلى تأكيد صارم على التواطؤ الأبدي بين الفاعلية السلطوية للمنجز اللغوي والحاضر الثقافي المفتعل لتلبية الرغبة الجامحة لغرور الإنسان في الوصول إلى لحظة تجاوز الإبهام.

"يجب أن نربط قضية اللغة والتفسير بمعرفة أنفسنا معرفة أتم، أو البحث عن نظرة أعمق في حيوية الأشياء.. ولن نستطيع أن نقرأ الشعر والحكمة والتصوف ونشاط الروح إلا إذا فهمنا فهما أفضل النثر والنقاش العملي وشؤونهما المستمرة"[8].

إن الألفة الواقعة بين الراهن والمستقبل ترصعها ثلاثية (الهوية واللغة والثقافة) التي قد ترخص وقد تمنع حسب مزاج صيرورة الكتابة لقاء مؤجلا بين الإنسان وأناه

التائهة وسط شهوة الانعزالية التي ترسمها سطوة الاغتراب، والذاتية المتعالقة بنرجسية الكلمات التي تحرر وتقيّد جموح الإنسان الباحث عن الحدود الفاصلة بين الكتابة وألم الكينونة، والقلق تجاه الآت الذي نصنعه بإسقاطاتنا المتفانية في اللّذة والرهبنة.

إن الكتابة هي صوت الوحدة الصارخة في وجه الكاتب ليرجع عن تيهه في عالم الكلمات، ويضع حدا للانحدار في غيابات المستحيل؛ إن هي سوى لحظة عري، وتفريغ لنزعة الشر التي تتقاطعها ثنائية (السيف والقلم) المعبِّرة عن امتداد آثم ليد بشرية أَلِفَتْ الإثم والغواية.

2. الكتابة والبحث عن المعنى

بعيدا عن بساطة الطرح المباشر لمفهوم الكتابة عند أبي العباس القلقشندي على اعتبار أنها إحدى الصنائع بقوله: «... والكتابة إحدى الصنائع.. فمادتها الألفاظ التي تخيلها الكاتب في أوهامه وتصور من ضمِّ بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة والخط الذي يخطه القلم ويقيد به تلك الصور..."[9]، فإنه لا يمكن - وهي رغبتنا الملحّة- أن تكون الكتابة سوى ملجأ للضمير الفار من موت الضمير، أو منفى للروح المتألمة من شدة خدمتها لرغبة الآخر؛ ففي أفق الكلمات تلتقي المنافع الوجودية لذواتنا الهاربة، وفي البحث عن تقاطعات المعنى، تطفو قدراتنا المزيفة على التأويل المفخَّخ لقيود الصورة البلاغية الممجِّدة للعبث اللامتناهي في استعمال لغة التردد. إننا دوما نسعى للحصول على طريقتنا الراقية في التعبير عن مظاهرنا الفلكلورية التي تعكس إرادتنا الفائقة في إبداع أكبر قدر ممكن من الخرافة، والأسطورة، وتعطشنا المفرط للهيمنة والتسلط.

إننا لا نتوقف عن استعارة الأفكار، ونظل نطفو على سطح اللغة بحثا عن الكلمات التي تأخذنا إلى الأعماق، ليس لأن المعاني مطروحة في الطريق، كما أراد لها الجاحظ أن تكون، بل لأن معرفتنا السطحية وعجزنا عن ملامسة ما يلائم عقولنا جعلتنا نتوارى خلف غبار الكلمات بحثا عما يطفئ قلقنا، ويزيل حيرتنا الوجودية تجاه المعنى المفقود.

مع التواصل يبدأ قانون الحجاج، وتبدأ المواجهة بين الذكورة والأنوثة في ساحة القول؛ ليقف شبح الانتصار منتصبا يطاول كل قول خاضع للشفوية والتقاليد؛

فصورة المرأة تمثل الوجع المعذِّب للرجل، لأن قوتها تكمن في التجاهل اللذيذ لما يقوله الرجل، بما أنها تستأثر دوما بالكلمة الأخيرة.

كل نص هو موضوع لاستهانة أبدية لفعل التأويل الخائن لمنطق ملفوظية التفكير المتولد عن انتماء إلى كون ثقافي ثابت. وبين همس القلم ووشوشة الهدوء الصامت، تبحث الكتابة عن روح مفقودة، إنها تبحث عنها في حرفيةِ سيميائيةِ العلامة اللغوية. وتظل الكتابة المؤنسنة للفكر المتوحش في فرار دائم من الصورية الإملائية المعبّرة عن وحدة اللغة، بما أن تاريخها الأول هو تاريخ الشفوية التي تحيا باسم الدين في كلام البشرية وفي ذاكرتها.

"إن حياة الفرد تشبه حياة النص. في كلتيهما فجوات وتعارض وتقدم وتقهقر. فكيف نعيد التوازن...؟[10]

إذا كان الوجود والحياة تأويلا[11]، فإن النص أيضا يكون تأويلا للوجود في اللغة وعبرها[12]. ومن ثم فإن هوية النص تتحدد بهذه الوضعية الأنطولوجية التي يغدو التأويل بمقتضاها، وفي الآن نفسه، محيطا للنص والفعل الذي تقوم الذات به عليه. إن التأويل بهذا المعنى يؤسسه في وجوده قبليا وبعديا.

نشهد على أن عبقرية الكاتب -كما يقول شارل بودلير " التوفيق في كتابة مشهد شعري يعبر عن سحر، وجمال، وإغراء الصورة الحيوانية للإنسان"[13]- هي التي تنقل الصمت والضوضاء إلى عمق تعددية أصوات اللاوعي الجماعي، مع الرغبة المستترة في معانقة الحقيقة الأسطورية، وإنهاء المتوقع للدخول فيما هو واقع. إنها رحلة اعتراف تعبر عن شجاعة تفرض مغادرة الذات وفقدان الآخر، ولذلك فإننا نلجأ إلى التخييل لأنه يساعدنا على رؤية أنفسنا في مرآة يومياتنا.

إن الكتابة التي نسعى للحديث عنها ليست مسألة صياغة لغوية فحسب، بل طريقة في التفكير والتحليل والوجود النصي منه على الأقل، إنها شكل حضور الذات في اللغة والفكر، حضور يقوم على التأسيس لتأويل يعتمد الحرية الذاتية للقارئ في بناء النص، وهي بنقلها مفهوم الذاتية من العلم إلى الأدب جاءت كرد فعل على الهيمنة لمفهوم الوضعية، وسعت إلى تعميمه على مختلف معطيات المعرفة.

أن نكتب يعني أننا نغازل الزمن لحمله على الاستكانة لإرادتنا القاهرة في طي صيرورة الكلام المتصلة والوصول إلى البنية العليا للتيار الحيوي للغة، إنه الصراع

الدائم واللذيذ لإقامة الصلح بين الألفاظ والمقاصد، وبين السعي إلى بناء نموذج كلي والتعبير بلغة ذاتية عن الحياة الباطنية. جوهر التوتر هو أن اللغة وجود مجرد في خدمة الجماعة، بينما تحظى الكتابة بقيمة شخصية بما أنها في خدمة الفرد.

ليست المفردات اللغوية في جوهرها غير تعويض سيء عن المشاعر والأفعال والمعارف. والحق أن الإحساس بالضياع كما أن التعاسة الظاهرة والخفية هما اللذان فكّا عقدة لساننا... ضعف الإنسان هو الداعي إلى وجود فعل الكلام ومضمونه، وتحمل اللغات الإنسانية في مجملها وصمة هذا القصور، لكننا عندما ننظر إلى كل لغة وفق مقياسها الخاص، أي لما نقوّمها باعتبارها تعبيرا عن ضعف الإنسان تسترجع اللغة أمانتها وتستوفي الغرض منها على الدوام.

إننا نطلق العنان لأفكارنا دون مراعاة إن كانت بنية الألفاظ توافق بنية المعاني، وعندما نواجه تعبيرنا المخالف لما أردناه، نهاجم اللغة وننعتها بالقصور وعدم القدرة على الارتقاء إلى مقاصدنا السامية، وواقع الأمر أننا نحن الذين عجزنا عن انتقاء الألفاظ الملائمة للتعبير عما يختلج بداخلنا.

ليست الكلمة صورة للفكرة بل أداة للتعبير عنها، لذلك فإن الانتقال من التصور إلى التعبير اللغوي فعل إبداعي، وهو فعل يتجاوز التصور غير المحدد والدلالات المعروفة في أفق تحديد دلالة مفردات غير محددة الدلالة من قبل، فالعبارة المناسبة لا تنبع من معين التصور، بل نحن مَن ننتجها لنفسح مجالا للتعرف على أفكارنا السابقة بواسطة أشكال لغوية.

إننا ندّعي الكتابة لتقويم مساراتنا التاريخية وتشكيل خصوصياتنا الحضارية؛ نستكشف ذهنيتنا الكامنة في النص الغائب، إننا نصنع المتعة الواعية لنروِّض غرائزنا ونهذبها لمصلحة الفهم الصحيح لسلوكياتنا، ننجز الدلالة وبها نستكشف حدود المعنى المستتر في ثنايا البلاغة، ونسهم في تأسيس وعي القراءة الواعية.

3. الكتابة والمعنى والتأويل

النشاط اللغوي هو قبل كل شيء نشاط اجتماعي، وهو مرتبط بمهمة اجتماعية، ويشمل جملة من المتطلبات الموضوعية المحددة. والكاتب الذي ينتمي بدوره إلى واقع اجتماعي هو والمهمة التواصلية كلاهما يحدد قصدية التواصل، وهو ما يجعل من عملية إنتاج النص تحدث في المستوى العقلي.

لقد أوضح لنا الجرجاني أن الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه. وكان يردد أن هذه المعاني النفسية هي معاني النحو وأحكامُه، وهي التي يتعلق بها النظم، إذ يقول: "واعلم أنك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضُها ببعض، ويبنى بعضُها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس، وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له، أو بدلا عنه.."[14]. وقد ذهب بارث إلى أن "... اللغة جملة من المقررات والعادات تشمل كل كُتّاب عصر من العصور، ومعنى ذلك أن اللغة مثل طبيعة تمر بمجملها عبر كلام الكاتب دون أن تعطيه مع ذلك أيّ شكل ودون أن تغذّيه: إنها مثل حلقة حقائق مجردة وخارجها فقط تبدأ كثافة القول الوحيدة بالترسب..."[15].

ربما يبدو للبعض، في لحظة وهم، أن هناك مسافة فاصلة بين الكتابة كفعل يتحقق في اللغة وباللغة، واللغة كوسيلة ظاهرة للفهم تعمل على تكريس المسألة التأويلية داخل الخطاب المكتوب، والتأويل متوقف على نوع الاستدلال؛ إلا أن التأويل يمكن أن يقسم إلى قسمين؛ أولهما ما تقوم به اللغة، وثانيهما ما ينجزه الإنسان. إلا أن الحقيقة تختلف عن ذلك تماما؛ إننا نعمد إلى الكتابة لتحقيق الصلة بين الوعي واللغة، ثم نمكّن للقراءة كي تقوم بربط العقل بمختلف الأنساق اللغوية التي تتشكّل وفق تصورات إبلاغية ودلالية.

تقوم وظيفة اللغة أساسا على ما تقدمه من نسيج بلاغي هدفه التأثير والتمكّن في النفس، لأن البلاغة هي "كل ما تُبَلّغُ به قلب السامع فتمكِّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.. وهو ما يدل على أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظُ مقبولا"[16]، تماما كما تقوم المسندات البلاغية بتنظيم النص في جميع مستوياته التشكيلية للبنية النصية، وهي الفكرة بأن بعض المسندات تعرّفنا بالبنى ذات المستويات العليا التي تقوم على مخططات معرفية

واحدة لدى أغلب القراء. وهذه البنى تنظم النص باعتباره كلا يدير مختلف العلاقات بين الأجزاء، علما أنها بنى منبثقة عن النص وغير خارجة عنه.

غالبا ما تنتظم النصوص من خلال أفكار أساسية، ومنها الفكرة الرئيسية التي تشكّل موضوع النص، وتفسير موضوع هذا النص بواسطة العنوان، أو من خلال جملة استهلالية هو ممارسة لوظائف متنوعة في معالجة النص. كما يشكّل الموضوع المرساة الأولية بالنسبة للقارئ بما أنه يمنحه الاستشعارات لما سيأتي ليتمكن من تحضير المعارف العامة، والمخططات المناسبة.

ويشكّل الموضوع مركزا موحِّدا وبؤرة لدمج الأفكار المعروضة في النص، كما أنه يسمح بالحكم ما إذا كانت هذه الفكرة مناسبة أم غير مناسبة، وما إذا كانت مهمة في تشكيل النص أم لا. وفي حال تعدد الموضوعات في النص الواحد، فإن أفق القراءة الذي يقدمه العنوان، أو يشكّله توجيه ضمني أو ظاهر كل ذلك يقودنا إلى اختيارات متنوعة في تشكيل الدلالة الكلية للنص، وإلى بنيات كبرى متنوعة حسب نموذج فان ديك Van Dijk (1982)، ففهم النص يقتضي بالدرجة الأولى تحديدا صحيحا للموضوع، وكذا انتقاء للمعلومة الملائمة وتنظيما لقاعدة النص بالدرجة الثانية.

عمليا، إننا نقرأ وفق إستراتيجيات نحددها تبعا للموضوع وما يفرضه من استنباطات مؤسِّسة للفهم، كما أننا نخضع في فهمنا لما نسمع من كلام أو خطابات شفوية لسياقات ومواقف تصنعها اللغة والمتحدث. إن أطروحة العمل الأساسية لكل تحليل نصي حسب بول ريكور هي رغم انتماء الكتابة إلى الدائرة نفسها التي ينتمي إليها الكلام -ألا وهي دائرة الخطاب المقابلة لدائرة اللسان- فإن خصوصية الكتابة بالنسبة للكلام الفعلي تقوم على خصائص بنيوية قابلة لأن تدرس كخصائص مشابهة للسان داخل الخطاب. وهي أطروحة مشروعة كاملا، فهي تعترف بأن الوحدات الكبرى للغة، أي الوحدات ذات درجة أعلى من الجمل، تعطي -داخل شروط محددة- تركيبات مشابهة ومقارنة لتركيبات الوحدات الصغرى للغة، أي الوحدات ذات درجة أدنى من الجملة، وهي تشكل موضوع البحث اللساني بالتدقيق[17].

- خاتمة

إننا نمارس اللعبة اللغوية بشيء من المخاطرة، نستعير الألفاظ لنطَّلع على تصوراتنا، ونحن بذلك نشارك في استمرارية الانتهاك بواسطة العدول المؤسِس لفكرة التكييف، تكييف خطاباتنا بحسب المتلقين لنكون فعالين. إنه التطويع المتحايل على المعطى اللغوي، والمتحايل على اللذة الإبداعية، إننا نتيح فرصة للتفاوض مع أنفسنا عبر الكتابة؛ نُقنع ونؤثر في محاولة لا تكل لتعديل سلوك الآخر عبر صناعة القطيعة مع المعهود، إننا نناقض التاريخ من خلال قفزة انفصالية تتجاوز فكرة الزمن الحمقاء، إننا ننشد بناء المعرفة الأسمى، ونحقق للنصوصية وجودها الدال على عمق التجربة الإنسانية الإبداعية.

- الإحالات والهوامش:

[1] إخنباوم بوريس، نظرية المنهج الشكلي، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، تر: ابراهيم الخطيب، بيروت والرباط، د.ت، ص37.

[2] عز العرب لحكيم بناني، الظاهراتية وفلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، أفريقيا الشرق، 2003، ص105.

[3] ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1960، ق1،ص259.

[4] E. Benveniste, Problèmes de Linguistique Générale, Gallimard, 1966, p259.

[5] Locke David M, Le pouvoir de la phrase, La Grande anthologie de la science-fiction (Histoires de la 4°ème dimension), Paris, Le Livre de poche n° 3783, Librairie Générale Française, 1983, p. 75.

[6] هانس جورج غادامير، اللغة كوسط للتجربة التأويلية، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع3، 1988، ص21.

[7] Ernst Cassirer, Essai sur l'homme, Ed de MINUIT, 1975, p35.

[8] مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، 1955، ع193،ص48.

[9] أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج1، ص36.

[10] I.A. Richards, Mouton, Poetries, Their Media and Ends, The Hague Press, Paris, 1974, P170.

[11] J. Garnier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, seuil, 1966, p304.

[12] Cf. N. Schor, Fiction as Interpretation, Interpretation as fiction, in Suleiman (ed) The Reader in the text, Essays on Audience and Interpretation, Princeton Univ. Press, U.S.A. 1980.

[13] Baudelaire Charles, Les Fleurs du Mal, éd augmentée, Michel Lévy, Paris,1886.

[14] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص.ص82،81.

[15] رولان بارث، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002، ص15.

[16] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1952، ص10.

[17] بول ريكور، النص والتأويل، العرب والفكر العالمي، ع3، 1988، ص44.

- قائمة المصادروالمراجع:

* المراجع باللغة العربية:

1. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1960، القسم الأول.
2. بارث (رولان)، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، 2002.
3. بناني (عز العرب لحكيم)، الظاهراتية وفلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، أفريقيا الشرق، 2003.
4. بوريس (إخنباوم)، نظرية المنهج الشكلي، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: ابراهيم الخطيب، بيروت والرباط، دون تاريخ.
5. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
6. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1952.
7. غادامير (هانس جورج)، اللغة كوسط للتجربة التأويلية، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، لبنان، العدد الثالث، 1988.
8. القلقشندي (أبو العباس)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، الجزء الأول.
9. ناصف (مصطفى)، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، العدد مئة وثلاثة وتسعون، 1955.
10. بول ريكور، النص والتأويل، العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، 1988.

*** المراجع باللغة الأجنبية:**

1. Baudelaire Charles, Les Fleurs du Mal, édition augmentée, Michel Lévy, Paris,1886.
2. Cf. N. Schor, Fiction as Interpretation, Interpretation as fiction, in Suleiman, edition The Reader in the text, Essays on Audience and Interpretation, Princeton Univ. Press, U.S.A. 1980.
3. I.A. Richards, Mouton, Poetries, Their Media and Ends, The Hague Press, Paris, 1974.
4. J. Garnier, Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, seuil, 1966.
5. E. Benveniste, Problèmes de Linguistique Générale, Gallimard, 1966.
6. Ernst Cassirer, Essai sur l'homme, Ed de MINUIT, 1975.
7. M. Locke David, Le pouvoir de la phrase, La Grande anthologie de la science-fiction (Histoires de la 4°ème dimension), Paris, Le Livre de poche n° 3783, Librairie Générale Française, 1983.

التحليل الفيزيائي للحروف المفخمة العربية باستخدام البرمجية الحاسوبية (Praat)

Acoustic Analysis of Arabic Emphatic Phonemes Using Praat Software

كمال فرات*

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر

kamelferrat@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 03/ 04/ 2024 - تاريخ القبول: 2024/05/27 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

قمنا في هذه الدراسة بتفسير الظواهر النطقية للحروف المفخمة العربية عن طريق التحليل الفيزيائي للكلام، وذلك باستغلال وسائل التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في البرمجية الحاسوبية (Praat)، وغرضنا من وراء ذلك تقديم تفسير صوتيّ علميّ لظاهرة التفخيم في ضوء الخلافات المتعددة لدى المهتمين بدراسة الأوضاع والحركات التي تأخذها الأعضاء النطقية أثناء النطق بالحروف المفخمة؛ فضلاً عن التأثير الصوتي الفيزيائي أو الأكوستيكي الناتج، فالتحليل الفيزيائي للكلام مجال مهم يوفر دراسة موضوعية وتفسيرا ملموسا للظواهر النطقية الخاصة باللغة العربية مثل التفخيم والتشديد ومخارج الحروف وصفاتها وغيرها. وقد اعتمدنا على البرمجيات الحاسوبية التي يمكن أن تُستغل في دراسة ظواهر التفخيم وغيرها وتفسيرها في اللغة العربية وما ينتج منها من حركات فيزيولوجية أثناء النطق، وقد تساهم بشكل فعّال في توفير الموضوعية للدراسات المتعلقة بالصوتيات من خلال تزويد المتخصصين في هذا المجال بالعديد من المعطيات الدقيقة في صيغة منحنيات طيفية وبيانات رقمية تخرجنا من دائرة التفسيرات النظرية المبنية على الوصف إلى التفسير الموضوعي المبني على الدليل الملموس.

الكلمات المفتاحية: التحليل الفيزيائي؛ التفخيم؛ الحروف المفخمة العربية؛ البرمجية الحاسوبية Praat.

* المؤلف المراسل: كمال فرات

Abstract:

In this study, we interpret the pronunciation phenomena of Arabic emphatic phonemes through acoustic analysis of speech, exploiting recent technology and Praat software. Our goal is to provide a scientific acoustic interpretation of the emphasis phenomenon in light of the numerous disagreements regarding the positions and movements of speech organs during the pronunciation of emphatic phonemes, as well as the resulting physical or acoustic sound effect. Acoustic analysis of speech is an important field that greatly helps in the objective and concrete interpretation of pronunciation phenomena specific to the Arabic language, such as emphasis, stress, the place and manner of articulation of phonemes. Computer software can be used to study and interpret the emphasis phenomenon and other phenomena in the Arabic language, including the physiological movements that occur during pronunciation. This approach may significantly contribute to the objectivity of phonetic studies by providing specialists with precise data in the form of spectral curves and digital data, transitioning from theoretical to objective interpretation based on tangible evidence.

Key words: acoustic analysis; emphasis; Arabic emphatic phonemes; Praat software.

- مقدمة

شكلت دراسات عديدة موضوعًا لخلافات شتى فيما يتعلق بحركات الأعضاء النطقية وأوضاعها أثناء النطق بالحروف المفخمة، وكذا التأثير الصوتي الفيزيائي أو السمعي الناتج، الذي يمثل لهذا السبب أهمية خاصة جعلتنا نقوم بدراسة الحروف المفخمة من خلال استغلال دقة الأدوات التكنولوجية الحديثة للتحليل الفيزيائي واستخراج الخصائص أو المؤشرات الفيزيائية التي تسمح لنا بالتفسير الدقيق لما يحدث فيزيولوجيا أثناء النطق بالحروف المفخمة. وفي العصر الحالي، يعتبر التحليل الفيزيائي للكلام مجالا مهما يمكن أن يساعد بصفة ملموسة في عرض موضوعي وتفسير دقيق لظواهر اللغة العربية كالتفخيم والتشديد ومخارج الحروف وصفاتها[1].

نحاول من خلال هذه الدراسة أن نفسّر فيزيائيا ما يحدث أثناء النطق بالحروف المفخمة باستغلال البرمجية الحاسوبية (Praat)؛ إذ نقوم باستخراج الخصائص الفيزيائية التي تفسّر لنا كل ما يحدث أثناء النطق بالحروف منذ خروج الهواء من الرئتين ووصوله إلى الحنجرة واهتزاز الوترين الصوتيين لجهاز النطق أو عدم اهتزازهما، وما يحدث للصوت عند خروجه من الحنجرة ومروره عبر تجاويف جهاز النطق، ونحاول من خلال ذلك الإجابة عن التساؤلين الآتيين: هل لظاهرة التفخيم تأثير في مستوى الخصائص الفيزيائية للكلام؟ وهل تظهر الخصائص الفيزيائية انتشارا أماميا وخلفيا لظاهرة التفخيم داخل الفعل الكلامي؟

1. ظاهرة التفخيم في اللغة العربية من وجهة نظر علماء الصوتيات

تعدّ ظاهرة التفخيم في اللغة العربية، في مجال علم الأصوات، من أهم الظواهر اللغوية والمسائل الصوتية ذات الإشكال والغموض الكبيرين، ولا تزال تحتاج إلى الكثير من الجهود والدراسات بغية التفسير العلمي والموضوعي لها.

لقد أعطي لظاهرة التفخيم عدة تسميات منها: الإطباق والتغليظ والاستعلاء والتسمين والتجسيم، ولكن أكثر المصطلحات شيوعا في ميدان الصوتيات يمكن حصره في مصطلحين اثنين هما الإطباق والاستعلاء. ونجد هذه الظاهرة محدّدة عند الصوتيين القدامى بمصطلح "الإطباق" لارتفاع اللسان للأعلى وانطباقه على الحنك الأعلى، ولذلك يقول سيبويه في هذا الصدد: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والظاء ذالا والصاد سينا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها"[2].

وكثيرا ما نجد خلطا وتداخلا بين ثلاثة مصطلحات للتعبير عن هذه الظاهرة هي: التفخيم والإطباق والاستعلاء، والحقيقة أن كل واحد منها يُعبر عن مفهوم معيّن وواضح؛ فالإطباق يعبّر عن ارتفاع اللسان للأعلى وانطباقه على الحنك الأعلى الصلب، وأما الاستعلاء فهو يخص حركة مؤخر اللسان نحو منطقة الحنك اللين واللهاة، ولذلك هناك الكثير من الصوتيين الذين يصنفون الحروف اللهوية الخلفية [غ، خ، ق] مع الحروف المفخمة لوجود ظاهرة الاستعلاء التي تميز الحروف المفخمة، غير أن تلك الحروف لا تحتوي على ظاهرة الإطباق وليس لها مقابل مرقق وغير مفخم، فالتفخيم أعم من الاستعلاء.

يبين الشكل1 أن الحروف الأربعة [ط، ص، ظ، ض] تشترك مع الحروف اللهوية في صفة الاستعلاء كما أنها تحتوي على صفة الإطباق؛ فالحروف الأربعة [ط، ص، ظ، ض] التي تجمع بين الظاهرتين الإطباق والاستعلاء هي حروف التفخيم.

الشكل 1: **الحروف المطبقة** والمستعلية في اللغة العربية

وعليه نجد تمييزا واضحا عند علماء التجويد بين ظاهرتي الإطباق والاستعلاء اللتين توصفان بكونهما حركتين عضويتين، بينما يُعدُّ التفخيم الذي يعتبر أثرا سمعيا ناتجا عن هاتين الحركتين، فهناك إذن فرق واضح ودقيق بين حركة اللسان من حيث هو عضو نطقي والأثر السمعي المحقق عن تلك الحركة. وقد وافقهم الرأي الكثير من المحدثين ومن بينهم عبد الصبور شاهين الذي ذكر الفرق بين الإطباق والتفخيم حيث قال: "الإطباق وصف عضوي للسان وأن التفخيم هو الأثر الناشئ عن هذا الإطباق"[3]، وكذا الدكتور محمد علي الخولي الذي يرى أن: "الإطباق سمة تضاف إلى الصوت إذا ارتفع مؤخر اللسان نحو الطبق (الحنك الأعلى). هذا الارتفاع

يؤدي إلى تفخيم الصوت"[4]. ولذلك يمكن القول بأن العلاقة التي تربط الحرف المفخم بالحرف غير المفخم المقابل تكون كالآتي:

الشكل 2: الحروف المفخمة ومقابلاتها الحروف المرققة في اللغة العربية

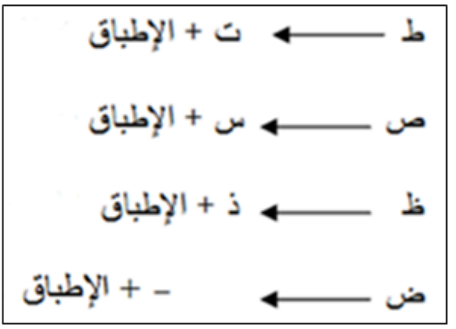

ومن بين التعريفات المختلفة المقدمة لمفهوم التفخيم في علم الأصوات يمكننا أن نذكر على وجه الخصوص التعريف القديم جدًا لسيبويه، أحد أبرز النحاة القدامى الممثلين لمدرسة البصرة، الذي لا يزال تعريفه لمفهوم التفخيم، الذي أورده في مؤلفه الشهير "الكتاب" في القرن الثاني (796م)، مرجعا في الوقت الحاضر. كما يمكن ذكر تعريفات أوبريخت (1968) وكوهين (1969) والتعريفات الأحدث قليلاً لسلمان حسن العاني (1970) وجيانيني وبيتورينو (1982).

عندما تطرّق سيبويه لظاهرة التفخيم ذكر أن الحروف يمكن أن تكون مطبقة أو منفتحة، وبخصوص الإطباق ذكر أن اللسان أثناء التفخيم يأخذ وضعا يصير فيه "غطاء" (couvercle) لكل مساحة مخرج الحرف، ويكون مرفوعاً نحو الجزء المقابل من الحنك الأعلى؛ فبالنسبة لسيبويه لولا وجود ظاهرة الإطباق لنطقت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من اللغة العربية، لأنه ليس لها مقابل غير مفخم؛ فهنا نلاحظ أن سيبويه قابل حرف الطاء بحرف الدال المجهور لأنه صنف الطاء مع الحروف المجهورة، ومفهومه القديم للجهر (إشباع الاعتماد في موضع النطق) يختلف تماما عن المفهوم الجديد للجهر الذي يعبّر عن اهتزاز الوترين الصوتيين.

وحسب سلمان حسن العاني (1970) في دراسته للحروف العربية، فإن المنطقة الأكثر تأثيرا أثناء النطق بالحروف المفخمة هي المنطقة البلعومية (الحلقية) وليست المنطقة اللهوية كما يقول غيره من علماء الصوتيات[5]؛ فالعاني مثل سيبويه قصر التفخيم على الحروف الأربعة الآتية: [ط]، و[ص]، و[ض] و[ظ]، ولكنه خالف سيبويه عندما فضل استعمال مصطلح "التحليق" (pharyngealisation) بديلا لمصطلح "الإطباق" للتعبير عن ظاهرة التفخيم، وهذا راجع حسب رأيه لوجود مخرج ثان في مستوى الحلق أثناء النطق بهذه الحروف. وهذا أيضًا هو الحال في الدراسة التي أجراها جيانيني A. Giannini وبيتورينو M.Pettorino إذ أفادا في دراستهما عن التفخيم في اللغة العربية سنة 1982 أن مارسيه Marçais (1948) ذكر في بحوثه عن اللغة العربية المغاربية أن "التفخيم حسب الشاشة الفلوروسكوبية يتضمن امتدادًا للسان من الأمام إلى الخلف، مع تقعر وسط ظهره، ولذلك ينتج عنه اتساع للتجويف الحنكي اللهوي"[6]. كما أظهرت دراستهما التي أجريت باستخدام تحليلات كيموغرافية وتصويرية للأشعة السينية، أنه أثناء التفخيم: "حركات العظم اللامي (os hyoide) تشير إلى ارتفاع كتلة الحنجرة وجهد عضلي نحو الخلف" وبذلك ينتج تضييق للتجويف الحلقي[7]

وأمّا بالنسبة لكوهين Cohen (1969) فيبدو أن الميزة الأساسية للتفخيم هي حركة الجهاز الصوتي نحو الخلف، بما في ذلك تقليص حجم الجويف الحلقي عن طريق حركة نحو الجزء الخلفي لجذر اللسان الذي ينحني وبالتالي يقوم باتساع التجويف الفموي[8].

وفي السياق نفسه، وفي تحقيقاته التجريبية، بنى أوبريخت D.H. Obrecht بحوثه سنة 1968 على افتراض مسبق بأن التفخيم يتمثل في تضييق التجويف الحلقي (البلعومي) الذي يضاف إلى المخرج الخاص بنطق الحرف الذي يشاركه فيه الحرف غير المفخم المقابل[9].

وبشكل عام، فإن أغلب الباحثين في الصوتيات يميل إلى تعريف ظاهرة التفخيم بأنها تتمثل في حركة جذر اللسان إلى الخلف وتقعر ظهر اللسان وهبوطه نحو منطقة الحلق الأعلى، وينتج عنه اتساع في حجم التجويف الفموي وانخفاض في حجم التجويف الحلقي (الشكل 3).

الشكل 3: نطق الحرف المفخم [ط] ومقابله المرقق [ت]

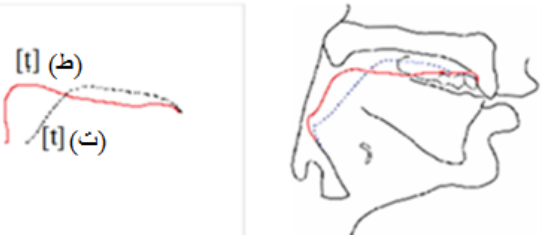

1.1. الحروف المفخمة في اللغة العربية

في اللغة العربية أربعة حروف مفخمة هي الصاد ثم الظاء والطاء والضاد؛ فصوت الصاد يتحقق بوضع اللسان في جزئه الأمامي موضع السين (المخرج نفسه)، فينطبق على الحنك الأعلى ويرتفع جزؤه الخلفي نحو الحنك اللين ليأخذ اللسان شكلا مقعرا، والظاء بين الأسنان مخرجها الذال ثم ينطبق اللسان على الحنك الأعلى ويستقر وسطه مع ارتفاع خلفه نحو الحنك اللين الخلفي لتكون الظاء، وهذا ما ينطبق كذلك على حرف الطاء، وأما الضاد فليس لها مقابل مرقق في موضع النطق نفسه، وعليه فالحروف المفخمة في اللغة العربية هي على التوالي:

- الحرف الحبسي (الانفجاري) اللثوي الأمامي المهموس [ط]؛
- الحرف التسريبي (الاحتكاكي) الأسناني اللثوي المهموس [ص]؛
- الحرف الحبسي (الانفجاري) اللثوي الأمامي المجهور [ض]؛
- الحرف التسريبي (الاحتكاكي) بين الأسناني المجهور [ظ].

ومن الملاحظ أن حرف الطاء صوت مهموس في اللغة العربية المعاصرة، وقد اعتبره سيبويه مفخم الدال في كتابه؛ إذ قال "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا"، وبذلك عدّها من الحروف المجهورة بينما صنفها المحدثون مع الحروف المهموسة لعدم اهتزاز الوترين أثناء النطق بها. والحقيقة أن مفهوم الجهر عند سيبويه والقدماء (إشباع الاعتماد في المخرج) يختلف تماما عن مفهوم الجهر المعاصر (اهتزاز الوترين الصوتيين).

ومن الملاحظ أيضا أن مخرج الضاد عند سيبويه يكون بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، فهذا الحرف يتصف عند سيبويه بالجهر والرخاوة والإطباق

والاستعلاء والاستطالة، فهو صوت رخو لا ينحبس النفس في مخرجه، عكس ما يصفه به المحدثون (حرف حبسي مفخم يقابله الدال الحبسي المرقق)، ولا يقابله أي حرف عند سيبويه في قوله "لخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها".

2.1. الحروف الدائرة بين المفخمة والمرققة

يقصد بها الحروف التي ترقق في النطق في بعض الأحوال وتفخَّم في بعضها الآخر حسب السياق وحسب الحركات المجاورة (الفتحة والضمة والكسرة)، وهذه الحروف هي اللام والراء، فهي تأديات خاصة لحروف اللام والراء تجعلها مفخمة في بعض السياقات ولا تصنف ضمن الحروف المفخمة، لأنها لا تتصرف بهذه الصفة إلا في حالات معينة؛ فبالنسبة للنحاة العرب القدماء، فإن اللام المفخمة هي تأدية متنوّعة (variante) للام المرققة وغير المفخمة، وينطق بالتفخيم في اسم الجلالة [الله] عندما تسبق اللام فتحة مثل (والله) أو ضمة مثل (قالوا اللهم)، بخلاف لفظه غير المفخم في اسم الجلالة نفسه عندما يسبق الحرف المفخم كسرة مثل (بسم الله). وأما الراء فتفخم في سياقات معّينة: إذا كانت مثلا مفتوحة أو مضمومة (رَبّنا، رُزقنا)، وإذا كانت ساكنة بعد فتح أو ضم (فارْتقب، الأمُورْ)، وإذا كانت ساكنة بعد كسر أصلي (فِرْقة).

3.1. تأثير ظاهرة التفخيم في الأصوات المجاورة للحرف المفخم

تتفق دراسات عديدة على أن هناك بالفعل تأثيرا لظاهرة التفخيم في الأصوات المجاورة إذ يحدث انتشار أمامي (تقدمي) (progressive) وآخر خلفي (تراجعي) (regressive) للتفخيم أثناء الكلام. ومن ناحية أخرى فإن ظاهرة التفخيم لا تقتصر في مستوى الصوت المفخم فحسب، بل تمتد إلى الصوتيات المجاورة[10].

وقد سبق لبعض علماء الصوتيات أن استشهدوا بذلك في أعمالهم، وإن كان ذلك بشكل سطحي، كجرامونت (Grammont) الذي قال: "في كثير من اللهجات العربية، يُحدِّد الحرفُ الحنجري والحلقي والمفخم تفخيمَ صوت آخر ينطق قبله أو بعده، خاصة الحرف الأسناني أو الصفيري"[11]. وهذا ما أشارت إليه دراسات أخرى

مثل الدراسات التي أنجزها غزلي (Ghazeli) سنة 1982 وبويش (Puech) وحمدي (Hamdi) سنة 1989 وغيرهم[12].

ومع ذلك، لا يزال هناك الكثير من الجدل حول هذا الانتشار الأمامي والخلفي للتفخيم أثناء الكلام، فما هو حدّه في مستوى سلسلة الكلام المنطوق؟ وهل يكون قادرا على تجاوز حدود الكلمة؟ وهل ذلك موجود في جميع السياقات؟ وهل هو أكثر حضورًا في الاتجاه التقدمي أم في الاتجاه الرجعي؟ فهنالك الكثير من الأسئلة التي تخضع إجاباتها للجدل أو لم يتم تسليط الضوء عليها بعد.

2. الخصائص الفيزيائية للكلام

لدراسة الصوت البشري أو الكلام وما يحدث داخل جهاز النطق أثناء الكلام نستعمل خصائص فيزيائية خاصة تتمثل في الكشف عن التردد الأساسي، وفي تحديد البواني الصوتية والبواني الانتقالية وفي الشكل البياني التالي مزيدٌ من التوضيح:

الشكل 4: أعضاء جهاز النطق وما يقابلها من خصائص فيزيائية

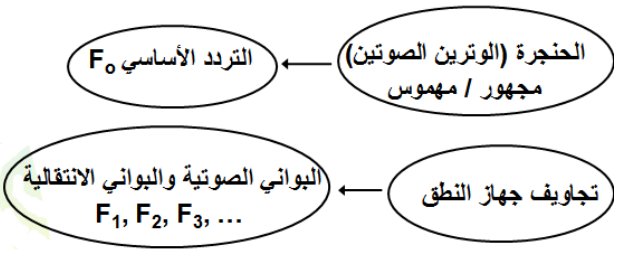

1.2. التردد الأساسي (fundamental frequency)

يتعلق التردد الأساسي (ارتفاع الصوت بصفة عامة) من الناحية الفيزيولوجية بتردد ذبذبات أو اهتزازات الوترين الصوتيين، فهو يمثل مجموع ذبذبات الوترين الصوتيين في الثانية وتكتب بالرمزF0 وتقرأ "ف صفر" وتقاس بوحدة الهرتز (Hz). وتعرف القيم المتعددة لقيمة التردد الأساسي بالنغمات.

وترتبط طبقة تغيرات التردد الأساسي بعدة عوامل أهمها السن والجنس وحجم الوترين الصوتيين وطولهما، فهي تتراوح بين 80 إلى 150 هرتز عند الشخص الذكر

البالغ ويكون الصوت غليظا (grave)، وتتراوح بين 150 إلى 350 هرتز عند المرأة ويكون الصوت حادا (aigu)، وتكون أكثر حدة وارتفاعا عند الطفل إذ يتراوح بين 350 إلى 600 هرتز، كما يتغير مستوى التردد عند المتكلم نفسه حسب مقاصد الكلام المنجز (خبر، استفهام، أمر، إلخ) وحسب حالته النفسية (فرح، قلق...).

2.2 شدّة الصوت (Intensity)

تمثّل شدّة الصوت الصفة أو النوعيّة التي تساعدنا على التمييز بين الصوت القوي (المرتفع) والصوت الضعيف (المنخفض)، وتقيس الشدّة الصوتية طاقة الفعل الصوتي وتتوقف على ضغط الهواء "تحت المزماري" بشكل خاص، ونستعمل في غالب الأحيان وحدة قياس نسبيّة تعرف بـ " الديسبل: (dB)". ويبدأ سلم مستويات الشدة التي يخضع لها صوت الإنسان من الصفر (0 dB) وهو عتبة السمع لدى الإنسان (السكون أو الصّمت) وينتهي في حدود 120 dB حيث عتبة الألم. فعلى سبيل المثال: يعادل الهَمس 20 ديسيبل، وتكون المحادثة الطبيعيّة في حدود 60 ديسيبل، ومن 70 إلى 80 ديسيبل تكون المحادثة مرتفعة في مكان صاخب أو حركة مرور كثيفة، وأما 100 ديسيبل فتخص الصراخ المرتفع للأطفال أو حركة درّاجة نارية، و120 ديسيبل تناسب صوت محرك الطائرة. وقد تُسبب الأصوات التي تتعدّى قيمتها 90 ديسيبل خطراً على صحة الإنسان، إذ تؤدّي إلى إصابته بضرر سمعيّ دائم أو مؤقّت نتيجة لإحداث ضرر بعظيمات الأذن الوسطى وثقباً بطبلة الأذن (Tympan).

والأصوات الأسهل إدراكا أو سماعا هي الصوائت لأنها تنطق في مستوى الترددات المنخفضة الغليظة (graves)، وأما الصوامت التسريبية المهموسة مثل [s،f] فهي الأصوات الأكثر تعرضا لعدم السمع إذ لا يمكن إدراكها في الصممين الأدنى والخفيف[13].

3.2. البواني الصوتية (Formants)

يتعرض الصوت أثناء مروره عبر تجاويف جهاز النطق فوق المزمارية لتغيرات مختلفة مرتبطة بدرجات الانفتاح والانغلاق التي تحدث في مستوى كل تجويف حسب وضعية اللسان والشفتين... وتمتلك هذه التجاويف ترددات رنينية (resonant frequency) تقوي بعض مناطق الطيف، ويطلق اسم البواني الصوتية

على الترددات الرنينية التي تتطابق مع تجاويف مجرى الصوت وتختلف حسب حجم التجويف وسطح انفتاح الرنّان.

تدرس البواني الصوتية بصفة عامة الصوتَ والتغيرات التي تحدث له عند مروره عبر تجاويف جهاز النطق وله قيم ترددات نسبيّة معاكسة لحجم التجاويف، إذ كلمّا زاد حجم التجويف كانت قيمة التردد منخفضة، والعكس صحيح فكلّما كان حجم التجويف صغيرا كانت قيمة التردد مرتفعة، ونرمز للبواني الصوتية برموز F_1، F_2، F_3... نسبة للتجاويف المتعلقة بكل بانية صوتية.

لكل صوت بوانيه المميزة ولكي نتمكن من نطق مختلف الحروف لابد من توفر ثلاث بوان صوتية على الأقل، وقد نصل عموما إلى خمس بوان صوتية من أجل توليد كلام ذي مستوى عال.

تظهر فيزيائيا البانية الصوتية (F_1) في التجويف الرنّان الموجود بين الحنجرة وظهر اللسان (التجويف الحلقي).

وتظهر البانية الصوتية (F_2) في التجويف الرنّان الموجود بين ظهر اللّسان والأسنان (التجويف الفموي).

وتتوقف البانية الصوتية (F_3) عند التجويف الصغير الموجود بين الأسنان والشفتين ويعبر غالبا عن استدارة الشفتين.

وقد تظهر البواني الصوتية على الرسم الطيفي على شكل شرائط سوداء أفقية وتشير درجة السواد إلى شدة الصوت فكلّما زادت درجة السواد ارتفعت درجة الصوت.

3. التحليل الفيزيائي للحروف المفخمة في اللغة العربية في ضوء البرمجية الحاسوبية

لدراسة ظاهرة التفخيم والحروف المفخمة العربية استعملنا برمجية حاسوبية تسمح بالتسجيلات الصوتية واستخراج المؤشرات أو الخصائص الفيزيائية للكلام متمثلة في الظواهر النغمية وهي التردد الأساسي، والبواني الصوتية، والشدّة... إلخ.

1.3. البرمجية الحاسوبية برات (Praat)

أصبحت البرمجية الحاسوبية برات (Praat) اليوم من أهم البرمجيات المستعملة للتحليل الفيزيائي للكلام ومن أهم الوسائل المستعملة لدراسة اضطرابات الكلام. وقد اخترعها "بول بورسماء - Paul Boersma" و"دافيد وينيك - David Weenik" بمعهد الصوتيات التابع لجامعة أمستردام بهولندا (Nederland)[14].

الشكل 5: البرمجية الحاسوبية برات (Praat)

(https://www.fon.hum.uva.nl/praat/)

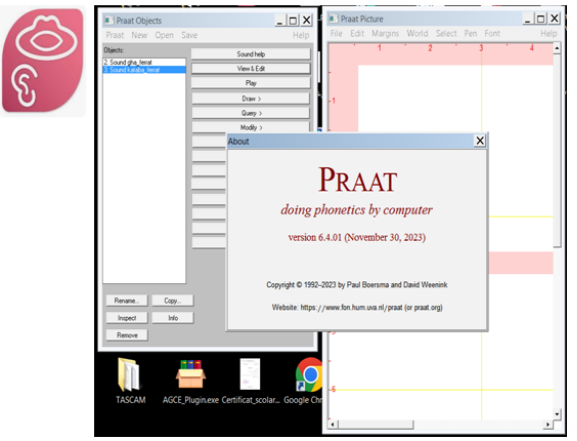

فعلى شاشة الحاسوب كما هو في (الشكل6)، يظهر لنا جلّ المعلومات التي يمكن استغلالها لدراسة الكلام، وهي تتمثل في منحنيات الخصائص الفيزيائية وقيمها.

الشكل 6: الخصائص الفيزيائية للكلام (القيم والمنحنيات)

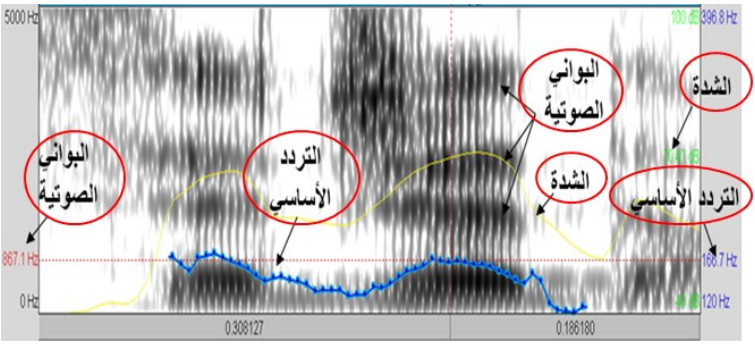

2.3. نتائج التحليل الفيزيائي للحروف المفخمة العربية في ضوء البرمجية الحاسوبية

سمحت لنا البرمجية الحاسوبية (Praat) التي تعمل على شكل جهاز طيفي (Sonagraph) برؤية أهم صفات الحروف المفخمة العربية الأربعة في شاشة الحاسوب ومعرفة ما يحدث فيزيولوجيا وبصفة دقيقة أثناء النطق بها (الشكل 7).

الشكل 7: صفات الحروف المفخمة (حبسي/تسريبي، مجهور/مهموس) في شاشة الجهاز الطيفي

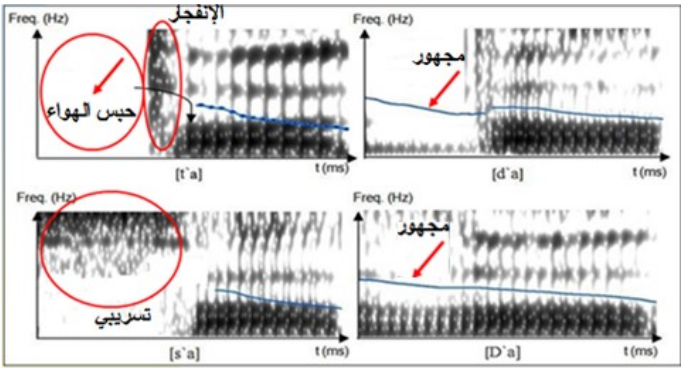

- البواني الصوتية

تُظهر لنا دراسةُ الأصوات المفخمة العربية وما يُصيبها من الانتقالات أثناء الكلام إلى الحركات أو الصوائت (المعبر عنها بالبواني الانتقالية) ارتفاعًا في البانية الصوتية (F_1) بسبب تقلص حجم التجويف الحلقي أو البلعومي، وانخفاضًا في البانية الصوتية (F_2) بسبب اتساع حجم التجويف الفموي. ويمكن تفسير تلك الظواهر النطقية بقاعدة فيزيائية تبين أنه كلما اتسع تجويف الرنين انخفض التردد، وكلما كان هذا التجويف أصغر زادت قيمة التردد.

الشكل 8: الرسم الطيفي لنطق الحروف الحبسية المفخمة (ط) و(ض)

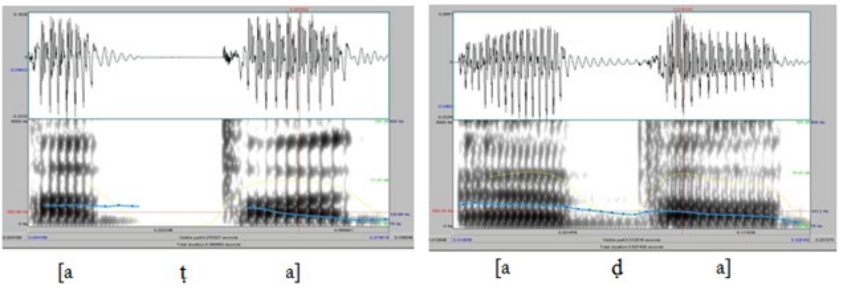

الشكل 9: الرسم الطيفي لنطق الحروف التسريبية المفخمة (ص) و(ظ)

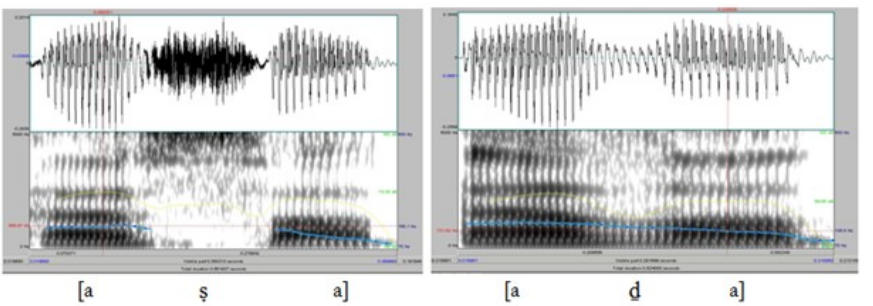

فأثناء التفخيم يتحرك جذر اللسان إلى الخلف مع هبوط وتقعر ظهره فينتج عن هذه الحركة اتساع لحجم التجويف الفموي، ولذلك ينتج انخفاض في تردد الرنين الذي يتمثل في البانية الصوتية (F_2). ومن ناحية أخرى يتقلص حجم

التجويف الحلقي ولذلك ترتفع قيمة تردد الرنين الموافق للبانية الصوتية (F_1) (الشكل 10).

الشكل 10: ارتفاع (F_1) وانخفاض (F_2) أثناء النطق بالحرف المفخم

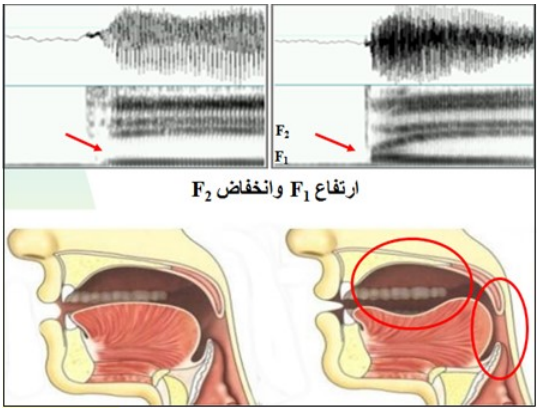

و تظهر لنا الدراسة نفسها مثلما هو موضح في الصورة ارتفاع قيمة البانية الصوتية (F_1) وانخفاض قيمة البانية الصوتية (F_2) بوجود حرف مفخم في كلمة [صيف] في الصورة (أ) مقارنة بنطق الكلمة غير المفخمة [سيف] في الصورة (ب).

الشكل 11: مقارنة مستوى البواني الصوتية أثناء النطق بالكلمة [صيف] والكلمة المقابلة [سيف]

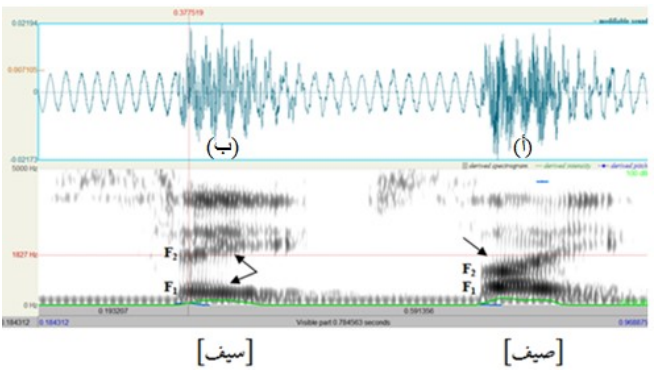

يظهر لنا (الشكل12) الفرق بين مستويات البواني الصوتية (F_1) وَ(F_2) التي تدرس ما يحدث للصوت عند مروره عبر التجويف الحلقي والتجويف الفموي لجهاز

النطق. ونلاحظ ارتفاعا لمستوى (F_1) وانخفاضا ملموسا لمستوى (F_2) أثناء النطق بالكلمة التي تحتوي على الحرف المفخم [طاب] مقارنة مع نطق كلمة [تاب].

الشكل 12: الشكل الطيفي لنطق الكلمة [طاب] مقارنة مع نطق الكلمة [تاب]

(ب) (أ)

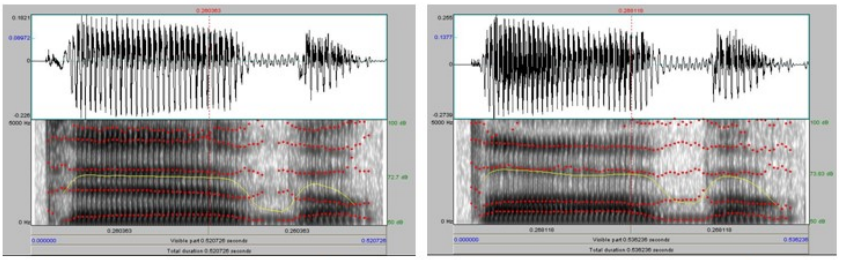

[تاب] [طاب]

- حالة اللام المفخمة

تبين من الدراسة الصوتية لصوت التفخيم في كلمة [الله] أن البانية الصوتية (F_1) ذات مستوى مرتفع، والبانية الصوتية (F_2) ذات مستوى منخفض (الشكل 13)، وهي من سمات الحروف المفخمة.

الشكل 13: مظهر البواني الصوتية مع تقارب مستويات البواني الصوتية (F_1) وَ(F_2) في وجود اللّام المفخّمة وتباعدها في حالة اللام المرققة

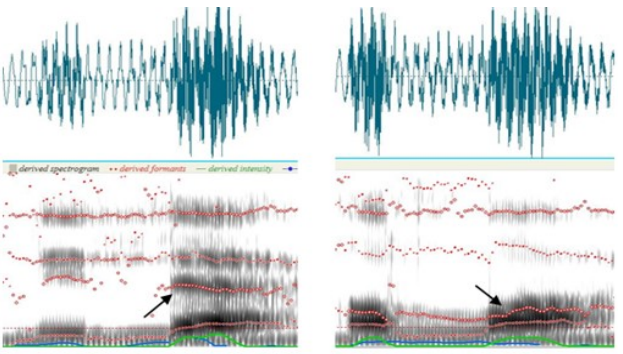

[لِلّه] [اللهُ]

- شدّة الصوت

نلاحظ في (الشكل14) أن مستوى الشدة مرتفع نسبيا أثناء النطق بالحرف المفخم في كلمة [طاب] مقارنة بمستوى الشدة أثناء النطق بالحرف غير المفخم في كلمة [تاب]، ولذلك نلاحظ في هذه التجربة التي قابلنا فيها الحرف المفخم [ط] بمقابله المرقق [ت] أن مستوى الشدة أو الطاقة التي يستعين بها الحرف [ط] أثناء النطق معتبرة مقارنة بما يتطلبه الحرف [ت].

الشكل 14: سعة الشدة عند النطق بكلمة [طاب] مقارنة مع نطق الكلمة [تاب]

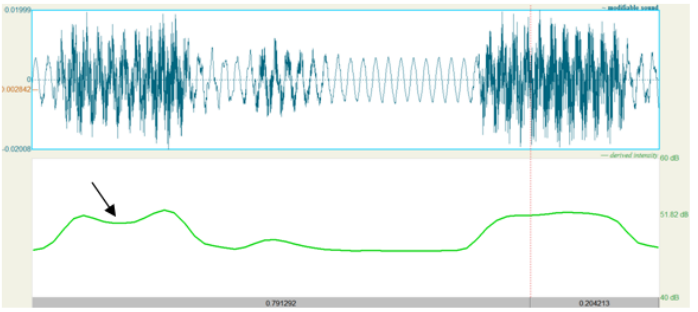

[تاب] [طاب]

- الانتشار التدريجي (الأمامي) والرجعي (الخلفي) للتفخيم

لدراسة الانتشار التدريجي (الأمامي) والرجعي (الخلفي) لظاهرة التفخيم داخل فعل كلامي (act of speech) اقتصرنا على دراسة محدودة لتسليط الضوء على هذا الانتشار التدريجي والرجعي للتفخيم حيث تتضمن المدونة المختارة مقابلات مفخمة/غير مفخمة في الكلمات والجمل. يظهر لنا (الجدول1) قيم البواني الصوتية الخاصة بالحركات المجاورة للحرف المفخم.

الجدول رقم 1: قيم البواني الصوتية لبعض المقابلات مفخمة/غير مفخمة وحسب الحركة التي تتبع الحرف المفخّم

الكلمة	وضعية الحركة المجاورة	F_1	F_2	F_3
[ṯāba]	Vp	420	1800	2680
	Vs	520	1320	2440
[ṭāba]	Vp	680	1040	2640
	Vs	520	1040	2400
[ṣanaƐa]	Vp	560	1340	2560
	Vs	600	1040	2480
[ṣināƐa]	Vp	480	1840	2480
	Vs	840	1200	2400
[Tagaṣṣaba]	Vp_1	560	1240	2360
	Vp_2	600	920	2160
	Vs_1	520	1000	2440
	Vs_2	560	1160	2320

[Tagassaba]	Vp_1	520	1480	2360
	Vp_2	520	1240	2240
	Vs_1	440	1600	2600
	Vs_2	480	1280	2320
[yaṣūmūna]	Vp_1	320	1840	2560
	Vs_1	320	1440	2360
	Vs_2	280	600	2480
	Vs_3	400	1440	2360
[yasūmūna]	Vp_1	520	1280	-
	Vs_1	400	800	2280
	Vs_2	400	580	2280
	Vs_3	440	1400	2440

الجدول رقم 2: تأثير التفخيم على قيم البواني الصوتية للأصوات المجاورة

[qawiy] (isolated)	vowel [a]	480	1280	2320
[ṣīni qawiy]	Same vowel	480	1280	2320
[ṣuniɛa]	vow. [i]	360	1680	2360
[ṣāniɛ]	Vow. [i]	400	1840	2520

- مفاتيح بيانية لقراءة الجداول السابقة

- F_1 ، F_2 ، F_3: البواني الصوتية المعبّرِ عنها بوحدة الهرتز (Hz)؛
- V_p: الحركة السابقة المجاورة للحرف المفخم؛
- V_s: الحركة التالية المجاورة للحرف المفخم؛
- V_{p1}: الحركة السابقة المجاورة للحرف المفخم والأقرب إلى الحرف المفخم/ غير المفخم.
- V_{s1}: الحركة التالية المجاورة للحرف المفخم والأقرب إلى الحرف المفخم/ غير المفخم.

وعليه تُظهر لنا هذه النتائج أن هناك بالفعل تأثيرًا أكوستيكيا (سمعيا) ملموسا في الأصوات المجاورة للصوت المفخم. ونستنتج من ذلك الوجود الحقيقي لتأثير حركة التفخيم في الأصوات المجاورة وذلك عن طريق انتشار تقدمي (أمامي) ورجعي (خلفي). وعلاوة على ذلك فإن الجملة المختارة من المجموعة كافية لتبين لنا إمكانية انتشار ظاهرة التفخيم في سياقات محددة خارج حدود الكلمة (وصول الانتشار للكلمات المجاورة)، خاصة أثناء النطق السريع. كما تبين لنا هذه الدراسة الفيزيائية أن الحركات (الصوائت) العربية [a] و[u] تعزز انتشار التفخيم وتدعمه عكس الحركة [i]. وزيادة على ذلك، فعندما نأخذ الحركات القصيرة والطويلة في السياق نفسه تكون درجة التفخيم للأصوات المجاورة في حال وجود حركة قصيرة أكبر من

درجة التفخيم في حال وجود حركة طويلة، ولذلك فإن المدة الزمنية للحركة تؤثر في انتشار التفخيم فكلما كانت معتبرة قلّلت من انتشار التفخيم للحروف المجاورة داخل الكلمة.

3. تحليل النتائج

نستنتج من التحليل الفيزيائي للحروف المفخمة والانتقالات أثناء النطق إلى الحركات التالية ارتفاعًا في البانية الصوتية الأولى (F_1) وانخفاضًا في البانية الصوتية الثانية (F_2). ويمكننا تفسير ذلك بالقاعدة الفيزيائية الآتية: كلما اتسع تجويف الرنين (resonant cavity) انخفضت قيمة التردد الرنيني المرتبط بالتجويف، والعكس صحيح؛ فأثناء التفخيم تؤدي الحركة الخلفية لجذر اللسان نحو التجويف الحلقي إلى تقليص في حجمه، ونتيجة لذلك زيادة في قيمة التردد الرنيني لهذا التجويف الذي يتمثل في البانية الصوتية (F_1) واتساع في حجم التجويف الفموي، وعليه ينتج انخفاض في التردد الرنيني لهذا التجويف الذي يتمثل في البانية الصوتية (F_2).

كما بينت الدراسة الفيزيائية وجود انتشار أمامي وخلفي يؤثر في الأصوات المجاورة للحرف المفخم، ويكون الانتشار أكثر حدّة عندما يتبع الحرف المفخم الحركتين العربيتين [a] و[u] بخلاف الحركة [i]. وعلاوة على ذلك فإن الجملة المختارة من المدونة الصوتية كافية لتبين لنا إمكانية انتشار ظاهرة التفخيم في سياقات محددة خارج حدود الكلمة لاسيما في حال النطق السريع. وفي السياق نفسه تكون درجة انتشار التفخيم في حال وجود حركة قصيرة أكبر من درجة انتشار التفخيم في حال وجود حركة طويلة (حركة ممدودة)؛ ولذلك فالمدة الزمنية للحركة تؤثر بشكل ملموس في انتشار التفخيم أثناء الفعل الكلامي (act of speech).

عند دراسة شدّة الصوت لاحظنا ارتفاعا ملموسا لقيمتها أثناء النطق بالحرف المفخم مقارنة بالحرف المرقق المقابل له؛ وهذه النتيجة مهمة جدا إذ تفسّر وتثبت ما ذهب إليه سيبويه عندما صنف الحرف [ط] ضمن الحروف المجهورة باعتبار المفهوم الذي قدمه للجهر الذي يتحدث فيه عن الإشباع وقوة الاعتماد في المخرج. فهذه التجربة التي جرت عن طريق التحليل الفيزيائي للكلام تبين بوضوح مدى قوة الاعتماد في المخرج أثناء النطق بالحرف [ط]، والقيمةَ العلمية لتفسير سيبويه

لمخارج الحروف العربية وصفاتها في زمانٍ متقدم من تاريخ الدرس الصوتي في التراث البشري.

- خاتمة

يوضح التحليل الفيزيائي باستغلال البرمجية الحاسوبية (Praat) أن هناك تطابقا واتفاقا بين التفسير الذي قدّمه النحاة العرب القدماء لظاهرة التفخيم والنتائج المتحصل عليها عبر الدراسات المعاصرة والتحليل الفيزيائي للكلام؛ فهما يتفقان على الدور الرئيسي الذي يلعبه اللسان في نطق الحروف المفخمة ويختلفان في تفسير الظواهر الفيزيولوجية التي ترافق ظاهرة التفخيم، إذ نجد عند القدماء تفخيما يتضمن بشكل أساسي ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان نحو الحنك الأعلى وهو ما يسمونه بمصطلح "الاستعلاء"، واقتراب اللسان من المنطقة العليا للفم الذي ينتج منه ضغط الهواء في الفراغ الموجود بين اللسان و"غطائه" التي يتمثل في الحنك الأعلى. وبخلاف ذلك فإن التفخيم الذي يظهر في التحليل الفيزيائي يتضمن تمديد اللسان من الأمام إلى الخلف برجوع جذره إلى منطقة الحلق مع تقعر منتصف ظهره، وهو ما يؤدي إلى اتساعٍ في حجم التجويف الفموي وتقليص في حجم التجويف الحلقي وهو ما يعبر عنه فيزيائيا بانخفاض مستوى البانية الصوتية (F_2) وارتفاع مستوى البانية الصوتية (F_1). فوصف حركة جذر اللسان وهبوطه نحو الفراغ الحلقي الذي يصفه العاني في كتابه بمصطلح "التحليق" (pharyngealisation) لا نجده في تفسير النحويين القدماء ولا عند علماء التجويد لظاهرة التفخيم في اللغة العربية.

يبقى أن الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو استخراج المؤشرات الصوتية التي تخص الحروف المفخمة، وهي المؤشرات التي تسمح لنا بتفسير العديد من الظواهر الفيزيولوجية التي تمت ملاحظتها عند التفخيم، ونذكر من بينها التغيرات التي تحدث لتجاويف الحلق والفم وحركات اللسان المختلفة، وعليه فقد تساعد تلك النتائج في تصميم أنظمة القراءة الآلية للنصوص العربية أو التركيب الاصطناعي للكلام العربي (Arabic speech synthesis) أي التحويل الآلي للنصوص العربية المكتوبة إلى كلام منطوق والتعرف الآلي على الكلام العربي أي التحويل الآلي للكلام العربي إلى نصوص عربية مكتوبة (recognition Arabic speech)[15].

- الإحالات والهوامش:

[1] كمال فرات، أهمية التحليل الفيزيائي في دراسة الظواهر اللغوية واضطرابات الكلام، الملتقى الوطني حول اللسانيات العربية الحديثة، قاعة المحاضرات العامة، جامعة الجزائر 2، 21/20 نوفمبر 2017.

[2] سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح وشر: عبد السلام هارون، بيروت، 1991.

[3] عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان، لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، مجلة جامعة تكريت للعلوم، 1972، ص187.

[4] محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، النظام الصوتي للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 1990.

[5] Al-Ani H. S., Arabic Phonology- An Acoustical and Physiological Investigation, Ed Mouton, France, 1970.

[6] Giannini A., Pettorino M., The emphatic consonants in Arabic, Giardini editori e stampatori in Pisa, Italie, 1982.

[7] Cohen D., Statut phonologique de l'emphase en arabe, 1969, Word n° 1-2-3, pp59-69.

[8] Ibid.

[9] Obrecht D., Effects of the second formant on the perception of velarization consonants in the Lebanese Arabic, Ed Mouton, France, 1968.

[10] Baazi K., Ferrat K., Guerti M., Etude acoustico-articulatoire de l'emphase en Arabe Standard, Colloque International en Traductologie et TAL, Université d'Oran, Algérie, 9 - 11 avril 2007.

[11] Grammont M., Traité de Phonétique, Librairie Delagrave, Paris, 1946.

[12] Ghazeli S., La coarticulation de l'emphase en arabe, Arabica, T_{XXVIII}, F_{2-3}, 1982, pp251-277.

[13] كمال فرات، أثر الصمم الخفيف على التكوين المدرسي للتلميذ الجزائري في المرحلة الابتدائية، المؤتمر العلمي الوطني حول دور أخصائي علم النفس لمدرسي في الإرشاد والمرافقة النفسية

والتربوية، بشعار: من أجل الارتقاء بالمدرسة الجزائرية، قاعة المحاضرات العامة، جامعة الجزائر2، 18 جوان 2019.

[14] Boersma P., Weenink D., Praat: Doing phonetics by computer (V 6.4.01), 2023. https://www.fon.hum.uva.nl/praat/download_win.html.

[15] Ferrat K., Guerti M., Classification of the Arabic Emphatic Consonants using Time Delay Neural Network, International Journal of Computer Applications, V80, n° 10, 2013, pp1-6, https://dx.doi.org/10.5120/13894-9341.

- قائمة المصادروالمراجع:

*** المراجع باللغة العربية:**

1. الخولي (محمد علي)، الأصوات اللغوية، النظام الصوتي للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 1990.
2. سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح وشر: عبد السلام هارون، بيروت، 1991.
3. شاهين (عبد الصبور) وعثمان (عامر السيد)، لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، مجلة جامعة تكريت للعلوم، 1972، ص187.
4. فرات (كمال)، أثر الصمم الخفيف على التكوين المدرسي للتلميذ الجزائري في المرحلة الابتدائية، المؤتمر العلمي الوطني حول دور أخصائي علم النفس لمدرسي في الإرشاد والمرافقة النفسية والتربوية، بشعار: من أجل الارتقاء بالمدرسة الجزائرية، قاعة المحاضرات العامة، جامعة الجزائر2، 18 جوان 2019.
5. فرات (كمال)، أهمية التحليل الفيزيائي في دراسة الظواهر اللغوية واضطرابات الكلام، الملتقى الوطني حول اللسانيات العربية الحديثة، قاعة المحاضرات العامة، جامعة الجزائر 2، 21/20 نوفمبر 2017.

*** المراجع باللغة الأجنبية:**

1. Al-Ani H. S., Arabic Phonology- An Acoustical and Physiological Investigation, Editions Mouton, France, 1970.
2. Baazi K., Ferrat K., Guerti M., Etude acoustico-articulatoire de l'emphase en Arabe Standard, Colloque International en Traductologie et TAL, Université d'Oran, Algérie, 9 -11 avril 2007.
3. Boersma P., Weenink D., Praat: Doing phonetics by computer (Version 6.4.01), 2023. https://www.fon.hum.uva.nl/praat/download_win.html.

4. Cohen D., Statut phonologique de l'emphase en arabe, 1969, Word n° 1-2-3.

5. Ghazeli S., La coarticulation de l'emphase en arabe, Arabica, Tome XXVIII, Fascicule 2-3, 1982.

6. Giannini A., Pettorino M., The emphatic consonants in Arabic, Giardini editori e stampatori in Pisa, Italie, 1982.

7. Grammont M., Traité de Phonétique, Librairie Delagrave, Paris, 1946.

8. Ferrat K., Guerti M., Classification of the Arabic Emphatic Consonants using Time Delay Neural Network, International Journal of Computer Applications, Volume 80, number 10, 2013, https://dx.doi.org/10.5120/13894-9341.

9. Obrecht D., Effects of the second formant on the perception of velarization consonants in the Lebanese Arabic, Editions Mouton, France, 1968.

الوضع الراهن لمعاجم الرياضيات في العالم العربي

The current situation of Mathematics Dictionaries in the Arab World

أبو بكر خالد سعد الله*
المدرسة العليا للأساتذة (القبة) - الجزائر
khaled.saadallah2024@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/05/14- تاريخ القبول: 2024/06/02 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:
يتناول المقال عرضا لجهود عدد من المجامع العلمية اللغوية والمؤسسات العربية وحتى بعض الجهود الفردية التي رافقت عملية التأليف بالعربية في ميدان الرياضيات لقطاع التعليم العالي في الوطن العربي مشتغلةً على توفير منظومة من المصطلحات في ذلك، وبهذا فالمقال يستعرض أهم ما تميزت به معاجم الرياضيات من الخصائص الإيجابية ومن النقائص ويعرض أهم الصعوبات التي اعترضت تلك المشاريع، ويسعى إلى تقديم جملة من الحلول الناجعة لتجاوز تلك الصعوبات والعقبات.

الكلمات المفتاحية: المعاجم؛ المصطلحات؛ المجامع؛ بنوك المعطيات؛ التعريب؛ الرياضيات.

* المؤلف المراسل: أبو بكر خالد سعد الله

Abstract:

This article provides an overview of the efforts made by many scientific linguistic academies, Arab institutions, and individual initiatives efforts that accompanied the process of authoring mathematics texts in Arabic for the higher education sector in the Arab world. focusing on developing a system of terminology in this field. Thus, the article reviews the key positive features and shortcomings of mathematics dictionaries, outlines the main challenges faced by these projects, and aims to propose a set of effective solutions to overcome these difficulties and obstacles.

Key words: dictionaries; terminology; academies; data banks; arabization; mathematics.

- مقدمة

تجلّى الاهتمام بتمكين اللغة العربية في جميع المجالات العلمية منذ عشرينيات القرن العشرين، وكان ذلك نتيجة التقدم العلمي في العالم الغربي واحتكاك الأوطان العربية بالمستعمر الإنكليزي والفرنسي والتحاق بعثات طلابية من العرب ولاسيما من مصر والشام بالجامعات الأوروبية وعودتهم إلى بلدانهم، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر، المصريين مصطفى نظيف (1893-1971) الحاصل على شهادة عليا في العلوم من إنكلترا عام 1914، وعلي مصطفى مشرفة (1898-1950) الذي نال شهادة الدكتوراه في الفيزياء من جامعة لندن عام 1923، ومحمد مرسي أحمد (1908-1989) الحاصل على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة أدنبرا البريطانية عام 1931. وفي الشام نجد المجمعيين مرشد خاطر (1888-1961) وأسعد الحكيم (1886-1975) الحائزين على الدكتوراه في الطب من باريس عام 1911 و1924، وكذا الأمير مصطفى الشهابي (1893-1968) الذي ابتعث إلى باريس وهناك تحصل على شهادة مهندس زراعي عام 1914، وغيرهم كثيرون.

وقد انشغل معظم هؤلاء بتدريس العلوم باللغة العربية في جامعات بلدانهم وبإصدار المؤلفات في اختصاصاتهم، واجتهدوا في وضع المصطلحات العربية المناسبة، ومن ثمّ ظهرت بوادر لوضع معاجم علمية عديدة في عدة بلدان عربية، وتطوّر هذا النوع من التأليف وتزايد عبر العقود عدد الجامعات العربية والمؤسسات الأكاديمية، وصارت الحاجة ملحة إلى توحيد المصطلحات العلمية والبحث عن إدخال الجديد منها مع اتساع حركة تعريب تدريس العلوم في الكليات العلمية والزخم الذي عرفته منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي.

ما من شك أن اللغة العربية تشكو ضعفها في موضوع المصطلح العلمي والمعاجم، ومع ذلك لابد من الإشارة إلى أنه لا وجود للغة بلغت درجة الكمال في باب اختيار المصطلحات في مختلف الفروع العلمية، فهذا الكمال يعني أننا تمكنا من تخصيص لفظ واحد لكل معنى يجنبنا الالتباس المترتب عن تضمين كلمة واحدة أكثر من معنى، وهذا ما لا نجده في أية لغة. ومن مميزات الرياضيات أن مصطلحاتها تراعي كثيرا هذا الجانب، ومن النادر أن نجد مصطلحا يحمل أكثر من معنى. لكن يخطئ من يتصور أن هذا المشكل غير قائم في الرياضيات أيضا.

وفي هذا السياق يوضح الباحث في المصطلح العالمي محمد علي الزركان (1939-2020) بقوله: "فعندما نحاول وضع اصطلاح مقابل كلمة واحدة لا ينبغي أن نوجد كلمة تدل على جميع المعاني المفهومة من الكلمة الأصلية على اختلاف أنواعها، بل بعكس ذلك يجب علينا أن نوجد اصطلاحاً خاصاً مقابل كل معنى من تلك المعاني المختلفة على حدة. مثال ذلك أن كلمة sujet بالفرنسية تدل على سبعة معان مختلفة... يقابلها ست كلمات في الألمانية وفي الإنكليزية كلمتان. وإذا حاولنا نحن أن نوجد كلمة واحدة مقابل جميع هذه المعاني المختلفة نكون قد كلفنا أنفسنا مشقة عظيمة بدون جدوى، وذلك في سبيل تقليد إحدى اللغات بجميع نواقصها تقليدًا أعمى"[1].

نودّ في هذا المقال تركيز حديثنا على أبرز معاجم الرياضيات التي مسّت التعليم العالي في الوطن العربي.

1. مكتب تنسيق التعريب بالرباط

أنشأت الجامعة العربية عام 1961 "مكتب تنسيق التعريب" بالرباط، و"جاءت فكرة إنشائه ليكون جهازا عربيا متخصصا يُعنى بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة، والمساهمة في إيجاد أنجع السبل لاستعمال اللغة العربية في الحياة العامة، وفي جميع مراحل التعليم"[2]. وقد تأسست سنة 1970 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فأُلحق بها هذا المكتب سنة 1972. وسعى المكتب بوجه خاص إلى جعل اللغة العربية لغة تعليم وتواصل ولغة البحث العلمي، وهو ما يتطلب وضع المصطلحات العلمية وإنشاء قاعدة للبيانات المصطلحية، وإصدار معاجم في جميع التخصصات، ومنها الرياضيات.

وهكذا تم نشر ما لا يقل عن 42 معجما في هذا المكتب، حيث ضمت هذه المعاجم أزيد من ثمانين ألف مصطلح، وهناك معاجم قيد الإنجاز. ورغم ذلك ظل تأثير مكتب تنسيق التعريب ضعيفا على الرغم من تعاونه مع المجامع اللغوية في الوطن العربي، والسبب الرئيسي في هذا التقصير هو أن المصطلحات العلمية تتكاثر وتتنوع يوما بعد يوما والمعاجم الصادرة لم تواكب هذا التطور؛ ففي الرياضيات نجد المكتب قد خصص لها معجما يشمل أيضا علم الفلك سماه "المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (إنكليزي، فرنسي، عربي)[3]، حيث تم دمج خمسة

معاجم في معجم واحد، ثلاثة منها في الرياضيات صودق عليها في مؤتمر التعريب الثاني بالجزائر عام 1973 ومؤتمر التعريب الثالث بليبيا عام 1977. وأما الجزء المتعلق بالفلك فهو حصيلة لمعجمين صغيرين هما معجم مصطلحات علم الفلك الواردة في معجم الجغرافيا والفلك المصادق عليه في مؤتمر التعريب الثالث المنعقد بليبيا عام 1977 ومعجم الفلك في التعليم العالي المصادق عليه في المؤتمر نفسه[4]؛ يضم هذا المعجم 352 صفحة و 4074 مصطلحا، وآخر إصدار له كان سنة 1990، أي منذ نحو 35 سنة؛ ومن ثم ندرك هزالة هذا العمل: ففرع واحد من فروع الرياضيات (الهندسة مثلا أو التحليل أو الجبر أو الإحصاء...) يضم آلاف المصطلحات فكيف نكتفي بـ 4 آلاف مصطلح تشمل الرياضيات والفلك، ناهيك عن عدم تحيين هذا العمل بعد عقود من الزمن، وكيف تمّ توحيد المصطلحات، وهي لم توحّد حتى على مستوى المؤسسة التعليمية الواحدة؟

ومن جهة أخرى، نشير إلى أن مكتب تنسيق التعريب وضع بالموازاة مع المعاجم الورقية منصة تفاعلية في موقعه باسم "بنك المصطلحات الموحدة" إذا كتبت في نافذة البحث مصطلحا بلغة من اللغات الأربع (عربية، إنكليزية، فرنسية، ألمانية) أظهر لك مقابل ذلك المصطلح باللغات الثلاث الأخرى، غير أنك كثيرا ما تضع مصطلحا في الرياضيات ولا تظهر لك المنصة أي مقابل لقلة المصطلحات المسجلة في البنك، علما أن المنصة توفر للمتصفح خيار الاختصاص الذي يبحث فيه عن مصطلحه.

2. المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

من جهود الجامعة العربية التي تصب في دعم اللغة العربية العلمية عبر وضع المعاجم والمصطلحات والترجمة العلمية أنها أسست المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق عام 1990، وحددت له أهدافا عديدة، منها: "المساعدة على تعريب التعليم العالي بفروعه وميادينه كافة في الوطن العربي، بما في ذلك تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث، ترجمةً وتأليفًا ونشرًا وتوزيعًا"[5].

وقد أصدر المركز الكثير من الكتب المؤلفة والمترجمة في شتى الاختصاصات ولاسيما في العلوم الأساسية. وناهز عدد الكتب المترجمة مئتي كتاب، لكن

الرياضيات شبه غائبة إذ لا تتعدى الكتب التي تصب في مجال الرياضيات عدد أصابع اليد، ومع ذلك أثرت تلك الإصدارات المصطلحات في هذا الاختصاص، وعيبها الأكبر أنها ظلت تقريبا حبيسة المركز ولم يتم توزيعها على نطاق واسع في البلدان العربية.

3. مجمع اللغة العربية بدمشق

أنشئ مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1918. وفي باب المعاجم والمصطلحات تمكن خلال الفترة الأخيرة من وضع أكثر من عشرين معجما في مختلف الاختصاصات، كلها متاحة بالمجان في "صيغة المستند المنقول" المعروفة بالرمز "بي دي أف (PDF) " في موقع المجمع. ومن بين تلك المعاجم في الرياضيات ثمة مسردان: مسرد مصطلحات الرياضيات إنكليزي–عربي (216 صفحة)، ومسرد مصطلحات الرياضيات عربي–إنكليزي (104 صفحة) صدرا عام 2018. وفي السنة نفسها صدر "معجم مصطلحات الرياضيات" في (882 صفحة)[6]؛ فبعد أن أصدر المجمع معجم الفيزياء عام 2014 ومعجم الكيمياء عام 2015 جاء هذا المعجم الضخم الذي وضعته لجنة مؤلفة من أربعة متخصصين في الرياضيات منهم أعضاء في المجمع، أبرزهم أستاذ الرياضيات المرحوم موفق دعبول (1936-2021) الذي أشرف على المشروع بالتعاون مع لجنة من الأساتذة المنتسبين لجامعة دمشق.

وقد أقدم المجمع على هذا العمل الجبار حين طلبت منه وزارة التعليم العالي السورية النهوض بمشروع توحيد المصطلحات في كافة العلوم، وما ساعد على أداء هذه المهمة في تخصص الرياضيات هو أنه سبق للأستاذ موفق دعبول أن شارك قبل عقود في وضع معجم للرياضيات (320 صفحة)[7] عام 1983 مع المرحوم الذائع الصيت أستاذ الرياضيات والكاتب والشاعر صلاح الأحمد (1927-1998) ابن الشاعرة السورية فتاة غسان (1908-1985)؛ وشاركتهما في هذا العمل الممتاز أستاذة الرياضيات إلهام الحمصي، واتخذ مؤلفو معجم المجمع خمسة عشر مرجعا عربيا وأجنبيا معظمها معاجم في الرياضيات، فضلا عن عدد كبير من المواقع الإلكترونية.

ومن الواضح أن المؤلفين بذلوا جهودا كبيرة لتغطي المصطلحات أكبر عدد من فروع الرياضيات مثل الجبر والهندسة والتحليل الرياضي وحساب المثلثات والتحليل

الشعاعي والتحليل الدالي والاحتمالات والطبولوجيا ونظرية المجموعات ونظرية البيانات ونظرية الأعداد، غير أنهم لم يتعرضوا في علم الإحصاء -الذي يعتبره الكثيرون فرعا من فروع الرياضيات- إلا للشائع من مصطلحاته، كما أنهم أغفلوا مصطلحات علم الميكانيك رغم أن البعض من هذا العلم يعدّ امتدادا للرياضيات، وهكذا فاق عدد المصطلحات الواردة في هذا المعجم سبعة آلاف مصطلح.

والجميل أن المعجم يقدم المصطلح باللغات الثلاث (العربية والإنكليزية والفرنسية) فضلا عن شرح المفاهيم وإحالات داخلية لمزيد من التوضيح عند تشابه المصطلحات، كما لم يغفل المؤلفون عن الإشارة إلى التهجئات المختلفة للمصطلح نفسه في حال وجودها مثل (trapezoid) و(trapezium) اللذين يقابلهما بالعربية مصطلح "شبه منحرف" أو (dilatation) و(dilation) اللذين يقابلهما بالعربية مصطلح "تمدّد"، ثم إنهم ينبهون إلى المصطلحات المختلفة للمفهوم نفسه في حال وجودها.

وفي هذا المعجم نجد نبذات عن السير العلمية لكبار علماء الرياضيات تتخلل المصطلحات المتوالية في المعجم، ونرى أنه كان من المستحسن وضعها في ملحق للمعجم بدل دمجها مع قائمة المصطلحات. واللافت أن المعجم لم يهمل ذكر العلماء العرب والمسلمين الذين كان لهم السبق في البرهان على العديد من النتائج في الرياضيات ونسبت لغيرهم من الغربيين، ولم يقتنع مؤرخو العلوم بهذا السبق إلا خلال العقود الأخيرة يعد الاطلاع على المخطوطات التي كانت مغمورة وتتضمن تلك البراهين.

ومن الأعمال الجادة الأخرى التي قامت بها سوريا خدمة للغة العربية في جميع الفروع العلمية فتح منصة إلكترونية باسم "الموسوعة العربية"[8]؛ إذ تأسست هذه الموسوعة عام 1981 بوصفها هيئة عامة ذات طابع علمي وثقافي برعاية رئاسة الجمهورية العربية السورية، وهي موسوعة ثرية تقدم كل خدماتها بالمجان ومنها معجم بالمصطلحات؛ فإذا بحثت ضمن صفحة تفاعلية[9] عن أي مصطلح عربي أو إنكليزي أو فرنسي قدمت لك الموسوعة مقابله باللغتين الأخريين مع شرحه باللغة العربية.

4. مجمع اللغة العربية بالقاهرة

تأسس مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1932، وأدى دورا بارزا في خدمة اللغة العربية، شأنه في ذلك شأن مجمع اللغة العربية بدمشق. وقد اهتم أيضا بالمعاجم والمصطلحات العلمية، لكن كمّها لم يبلغ كمّ ما أنتجه مجمع دمشق؛ ففي الرياضيات صدر الجزء الأول للمعجم المخصص لهذه المادة في مجمع القاهرة عام 1995، وضم (384 صفحة) وغطى الحروف اللاتينية الثلاثة الأولى، ولم يصدر الجزء الثاني إلا في عام 2000 ضمن (188 صفحة) وغطى أيضا ثلاثة أحرف (هي D، E، F)، وأما الجزء الثالث فصدر عام 2001 ضمن (349 صفحة) وغطى أحد عشر حرفا (من الحرف G إلى الحرف Q)، وأشرف على هذا الإنجاز المرحوم أستاذ الرياضيات وعضو المجمع عطية عبد السلام عاشور (1924-2017)، وشارك في التأليف ثمانية أساتذة من أعضاء المجمع وخبرائه. ولم نجد أثرا على الشابكة ولا في موقع المجمع للجزء الرابع والأخير الذي ينهي هذا العمل (من الحرف R إلى الحرف Z) ويغطي بقية الأحرف اللاتينية.

وفي عام 2019 صدر معجم شامل في (637 صفحة) وضع حديثا في الموقع الإلكتروني للمجمع بحيث يمكن تصفحه في المنصة ذاتها دون إمكانية تنزيله خلافا للمعاجم المذكورة آنفا التي كانت متوفرة في الموقع في صيغة المستندات المنقولة (بي دي أف) وكذا في غيره من المواقع الإلكترونية. واللافت في هذا المعجم وجود أزيد من 200 صفحة من المسارد بلغات أخرى (روسية وألمانية وفرنسية) بينما خصصت بقية الصفحات (نحو 430 صفحة) لمعجم إنكليزي-عربي يغطي كل الأحرف اللاتينية. فتساءلنا كيف أن مضمون 920 صفحة الوارد في الأجزاء الثلاثة الأولى تم دمجها في هذا المعجم الجديد فضلا عن الحروف المتبقية (من الحرف R إلى الحرف Z)! فليس هناك أي تقديم للمعجم حيث ينقلنا نصه مباشرة من صفحة الغلاف إلى الحرف اللاتيني A دون تصدير أو مقدمة خلافا لما كان عليه الحال في الأجزاء الثلاثة السابقة.

وقد قام المؤلفون بتقديم تعاريف مختصرة لكل مصطلح مفترضين أن للقارئ دراية بأحد فروع العلوم الرياضية. ونبّهوا إلى أن المجمع سيدرس تخصيص معجم لكل فرع (أو مجموعة فروع من الرياضيات) لأن الرياضيات اتسعت رقعتها مما جعل

منها علوما متعددة وليس علما واحدا. وما لاحظناه في المعجم -بغض النظر عن تقييم المصطلحات المختارة- أن تدقيقه المطبعي ضعيف، كأن نجد اسم عالم الرياضيات الفرنسي لوجندر Legendre (1752-1833) مكتوبا Legender، ثم إن هناك من الحشو ما لا لزوم له في باب المصطلح، كأن ندخل صفة abstract (مجرد) تليها أربع فقرات تشرح على التوالي معنى "الجبر المجرد" و"الرياضيات المجردة" و"الفراغ المجرد" و"الكلمة المجردة" علما أن كل هذه العبارات ليست لها معنى دقيق في الرياضيات. ونشير أيضا إلى نقطة سلبية أخرى في منصة المجمع وهي أنها تقدم خدمة "ابحث في المعاجم" لكن هذه الخدمة لا تشمل محتويات معجم الرياضيات.

5. المجمع العلمي العراقي

كانت في العراق محاولات كثيرة في مستوى الجامعات والمجمع العلمي العراقي ومنها وضع معجم مصطلحات علمية (إنكليزي-عربي) تضمن مصطلحات في الرياضيات، وعلم الحيوان، وعلم التربة، والتربية، وعلم النفس والطب النفسي؛ إذ صدر هذا العمل عن المجمع عام 1985، وجاء في (240 صفحة)، لكنه كان ضعيفا من حيث العمق في البحث عن المصطلح العلمي رغم أن فكرة تأسيس المجمع العلمي في العراق عام 1925 هي إنشاء "مجمع لغوي يقوم بتعريب الكلمات وإيجاد الاصطلاحات العلمية وترجمة الكتب التي يحتاج إليها العالم العربي"[10]. ولتحقيق هذا الهدف تم تشكيل لجنة اكتفت في بداية الأمر "بالنظر في المسائل المهمة والمصطلحات الجديدة التي تضعها المجامع العلمية في مصر وسورية ليحيطوا بها علماً، ويُبدوا فيها رأياً"[11]. وقد شكّل المجمع لجانا لوضع المصطلحات بدءًا من عام 1948، وأنجز عددا كبيرا منها، وتواصل العمل في موضوع المصطلحات "ولكن المجمع ترك الإشارة إلى موضعها في مجمعي دمشق والقاهرة"[12]. وحتى بعد ذلك التاريخ، يُذكر أن معظم جلسات المجمع اقتصر على دراسة ما يردها "من دواوين الدولة".

ودأب المجمع على إصدار قائمة من المصطلحات بصفة دورية. وهكذا بعد النظر في قائمة مصطلحات إنكليزية نشرها معهد الإحصاء الدولي لتعليم الإحصاء ببيروت في (619 صفحة) شرع المجمع بتاريخ 15 أكتوبر 1955 في دراسة (230 مصطلحا) منها وأوردها في مجلته ضمن 15 صفحة[13] وواصل هذا العمل سنة 1956.

وفي 1985 أصدر المجمع معجم الرياضيات في (96 صفحة) أعدته لجنة من علماء الرياضيات والفيزياء، كما صدر في 1987 مثلا القسم الخامس من "مصطلحات علمية - الرياضيات المتقدمة: الفيزياء العامة، الهندسة المدنية والبستنة" وفيه تتمة من مصطلحات الرياضيات مواصلة للأعمال السابقة. وفي عام 2000 أصدر المجمع مسردا آخر يضم نحو (600 مصطلح) في الجبر والهندسة والتحليل والإحصاء وهو يعتبر مواصلة للعمل السابق، ومع ذلك نجد الكثير من التكرارات في هذه المعاجم المتواصلة، وتقيمنا لهذا العمل أنه لا يرقى شكلا ومضمونا إلى ما أنجزه مجمع دمشق.

6. مجمع اللغة العربية الأردني

تعود بوادر تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني إلى العشرينيات من القرن الماضي، لكن تأسيسه الرسمي كان عام 1976، وقد انطلق في إنجاز عدة مشاريع منها البحث في المصطلحات العلمية والمعاجم وترجمة الكتب العلمية. وبدأت أعماله بتلبية طلبات المؤسسات الرسمية وغيرها حول وضع مقابلات عربية للمصطلحات الإنكليزية في مجالات مختلفة. وفي هذا السياق استغربنا في وجود أكثر من 60 مسردا للمصطلحات[14] متاحة عبر الشابكة في شتى المواضيع دون أن يكون للرياضيات حظ فيها مع أن هناك مثلا مسردا للفيزياء، وهو أقرب فرع علمي إلى الرياضيات.

وإذا استثنينا معجم الرياضيات الذي وضعه المرحوم مؤرخ الرياضيات الفلسطيني أحمد سليم سعيدان (1914-1991) ونشره المجمع في منتصف الثمانينيات فلا نجد أثرا لهذا التخصص في معجم المصطلحات العلمية التي أقرّها المجمع (93 صفحة) الصادر في 2020-2021، وهو الوحيد الوارد في موقع المجمع بهذا العنوان، مع أن المجمع ترجم بعض الكتب القيمة في الرياضيات منها "مبادئ التحليل الرياضي" في (614 صفحة) عام 1984 لصاحبه أيفور مادوكس (Ivor Maddox).

7. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

من المؤسسات الحكومية التي تستحق التنويه في البلاد العربية في هذا المقام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، لما قدمته من خدمة لتعريب التدريس في الجامعات وللغة العربية العلمية والمصطلحات، أُنشئت هذه المؤسسة عام 1976،

ونصت مهامها على ضرورة تطوير الثقافة العلمية. وأصدرت أربع سلاسل من الكتب العلمية عرفت رواجا واسعا إذ غطت في المجال العلمي أنظمة الحاسوب والشابكة، والكيمياء، والفيزياء والرياضيات وعلم الفلك والهندسة، والزراعة والجيولوجيا، والطب، وعلم الأحياء[15]. ومن المعاجم التي نشرتها المؤسسة موسوعة الرياضيات التي أصدرتها عام 1984 ضمن أربعة أجزاء في (1532 صفحة)، وكذا معجم الرياضيات عربي-عربي، ومعجم آخر إنكليزي-عربي أي ما تعداده ستة كتب.

لا بد أن ننوه بهذا العمل الموسوعي الجاد الذي قامت به مؤسسة الكويت عندما وضعت معجم موسوعة الرياضيات، واجتهد المؤلفون كثيرا في اختيار مصطلحات دقيقة تدخل في فروع مختلفة من الرياضيات، وبذلك سجلت هذه الهيئة شوطا معتبرا مقارنة بما وضعه معجم الرياضيات الموحد لمكتب تنسيق التعريب التابع للجامعة العربية.

نقرأ في مقدمة معجم الرياضيات لمؤسسة الكويت المرافق لموسوعة الرياضيات: "وعلى الرغم من توفّر معاجم تغطي المصطلحات الفنية والتكنولوجية والتي كنا نرجع إليها غالبا، إلا أن وضع معاجم متخصصة في كل علم على حدة أصبح ضرورة بعد أن أضحى الاهتمام بالعلوم يتزايد يوما بعد يوم. من جهة أخرى، رأينا أن الخطوة الأولى لكتابة الموسوعة هي وضع مثل هذا المعجم المتخصص"[16].

وفي هذا العمل راعى المؤلفون القواعد التي أقرتها مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وعمّان وبغداد، وكذا مكتب تنسيق التعريب بالرباط. وما تميّز به المعجم (عربي – عربي) أنه يقدم المصطلح وأمامه قائمة من المصطلحات المرادفة له المتواجدة في معاجم وكتابات أخرى لإعطاء القارئ فرصة التعرف على جميع المرادفات المستعملة في العالم العربي، ومن ثم إعطاء الفرصة للمصطلح الأفضل للبقاء. ومن المعلوم أن ما يعاني منه الباحثون في المصطلح العلمي العربي تواجد بوادئ في الإنكليزية مثل (semi) و(hemi)، وأحيانا تشابه في المعنى بحيث يصعب التمييز بين المفردات مثل "trisection" (تقسيم إلى ثلاثة أجزاء، تثليث الزاوية...) و"triangulation" (ثلثلة...) و"triangularization" (مثالثة...)، وقد أشارت الموسوعة إلى مثل هذه الوضعيات.

لابد من الإشارة إلى أن هذا المعجم الورقي المتميّز قد سبقته في المشرق معاجم أخرى مثل معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية لأحمد شفيق الخطيب (1926-2015)[17] الذي يذكر المؤلفون أنهم استفادوا منه.

ولا يفوتنا هنا أيضا أن نشيد بجهود مؤسسة الكويت للتقدم العلمي حين أقدمت على إصدار "مجلة العلوم" التي أدت دور المدرسة الحديثة للترجمة العلمية الأكاديمية؛ فقد انطلقت المجلة في الصدور عام 1986 حيث كانت تقدم ترجمة مقالات المجلة الراقية "ساينتفيك أميركن" (Scientific American) التي تصدر منذ عام 1845 في الولايات المتحدة. وهكذا ذاع صيت "مجلة العلوم" خلال ثلاثة عقود لما تقدمه من مواضيع علمية أكاديمية باللغة العربية فضلا عن مسرد للمصطلحات العلمية بما فيها مصطلحات الرياضيات. وللأسف تخلت المؤسسة عن ترجمة هذه المجلة منذ نحو 6 سنوات لأسباب معقدة.

8. البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)

في عام 1977 أنشأت الحكومة السعودية بمدينة الرياض "المركز الوطني العربي السعودي للعلوم والتقنية"، ثم في عام 1985 أطلق على هذا المركز اسم "مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية"، وصار أبرز قطب علمي في المملكة، بل في منطقة الخليج العربي. ومن بين ما تقوم به المدينة ترجمة مجلة "نيتشر (Nature)"[18] التي تعدّ من أعرق المجلات العلمية في العالم؛ إذ ظهرت عام 1869 في بريطانيا وذاع صيتها على مرّ السنين. ونجد في موقع هذه المجلة صفحة تفاعلية لمسرد يضم المصطلحات العلمية (إنكليزي –عربي-إنكليزي)، منها الرياضيات. غير أن هذا المسرد يكتفي بالمصطلحات التي لم يرد ذكرها في البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) فكيف أنشئ هذا البنك؟

في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين ظهرت فكرة إنشاء هذا البنك في السعودية، وبدأت هذه المبادرة في التجسد سنة 1983 حيث مرّ المشروع بمراحل عديدة انطلاقا من إعداد تصميم أولي لاستمارة البيانات الخاصة بالمصطلحات، ثم تم تطوير البرامج الحاسوبية اللازمة لإدخال وتصنيف المصطلحات باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية. وفي هذا السياق تدرّب العاملون في المشروع تدريبا محكما لأداء مهامهم على أكمل وجه. وتم تجميع المصادر المعجمية للمصطلحات

العلمية، وبوجه خاص مجامع اللغة العربية، ومكتب تنسيق التعريب، وكذا هيئات أجنبية تعنى بمسألة المصطلحات. وانطلقت عملية إدخال المصطلحات في بنك البيانات عام 1986. وعكف أصحاب المشروع على إنشاء مكتبة متخصصة مهمتها تزويد الباحثين بأحدث المعاجم المعروفة والموسوعات العلمية، ومسح دوري للإصدارات المعجمية الحديثة المحلية والعربية والدولية.

وتزوَّد المشروع بقسم معالجة المصطلحات، يُعنى بمهمة توثيق المصطلحات بناء على جهة الإصدار ولغاته، وحداثة الإصدار ومميزات (وجود أو عدم وجود تعريف دقيق للمصطلح، مرادفه، معلومات نحوية...). وإلى جانب هذا القسم يوجد قسم التأليف للمعجم الذي يسهم في إثراء الوارد في المعاجم المعتمدة، وذلك من خلال برامج التأليف المعجمي في جميع التخصصات العلمية والتقنية، وتعريب المصادر المعجمية المناسبة التي يقع عليها الاختيار.

وهكذا يقوم المشروع بتدقيق المصطلحات بمراعاة مصادرها وإعطاء الأولوية في الاختيار لإصدارات مكتب تنسيق التعريب بالرباط، واتحاد المجامع، ومجامع اللغة العربية وغيرها. وقد وضعت في هذا الباب مقاييس دقيقة. وفي الأخير، يخضع العمل المعجمي بعد استكماله للتحكيم من قبل لجان متخصصة. وقد ضم البنك نحو 300 ألف مصطلح علمي، تلك هي الخطة التي وضعت للمشروع، والمؤسف أن هذا المشروع الذي كان يظهر على شبكة الإنترنت ويقدم خدماته في مجال المصطلح للمتصفحين بالمجان لم يعد له أثر في الشابكة. ولم نتمكن من معرفة السبب: هل هو قيد التحيين أو أن ملفه قد طوي بعد تراجع التدريس باللغة العربية في الكليات العلمية في البلاد العربية بما فيها المملكة العربية السعودية؟

والواقع أننا وقفنا على الكثير من الثغرات العلمية (المصطلحية) في المشروع تتطلب المثابرة في العمل من أجل إزالتها ولاسيما في مصطلحات الرياضيات، فرغم الترتيبات والضوابط التي وضعها أصحاب المشروع ولكن من الواضح أن أهل الاختصاص الذين سهروا على تدقيق المصطلحات في كل لغة من اللغات الأربع لم تكن خبرتهم تشمل كل جوانب هذا الاختصاص وتفرعاته. ولذا نقول إنه لو تضافرت جهود الخبراء العرب في مختلف البلدان العربية لتمكين هذا المشروع من تحقيق

أهدافه لأغنى في اختصاص الرياضيات -على الأقل- عن كل مسارد المصطلحات الأخرى.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن مجمع الملك سلمان العالمي لخدمة اللغة العربية قد وضع منصة إلكترونية سماها "منصة سوار للمعاجم اللغوية"[19]؛ وهي منصة رقمية تهدف إلى حوسبة الصناعة المعجمية، وتتيح للمستفيد البحث في جميع المعاجم المنشورة فيها، كما تتيح لواضعي المعاجم نشرها في المنصة وتحديثها بشكل دائم، مع الاستفادة من الأدوات اللغوية والحاسوبية التي يوفرها المجمع. ومن المعاجم التي ينوي هذا المجمع إصدارها حسب إعلاناته في المنصة "البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)" السابق الذكر، ولا ندري هل سيصدر بشوائبه أو أنه سيكون محل تنقيحات وإثراءات.

ولا تفوتنا الإشارة أيضا إلى قاموس العلوم الرياضية الورقي (عربي-إنكليزي)[20] الصادر عن كلية العلوم بجامعة الملك سعود في الرياض عام 2001، وهذا القاموس يمثل في واقع الأمر مسردا للمصطلحات المستعملة في الرياضيات الجامعية، وقد جاء في (409 صفحة) من الحجم الكبير. ولذا يُعدّ من المراجع الجيدة لطلاب وأساتذة الرياضيات.

9. المعجم اللبناني

من المعاجم الورقية المهمة الصادرة في العالم العربي ترجمة لمعجم الرياضيات[21] (726 صفحة) في بيروت عام 1989[22]؛ فهو عمل متميز قُدم في ثلاث لغات (العربية والإنكليزية والفرنسية) تعمّق مؤلفاه في المفاهيم الرياضية بجميع تفرعاتها، وقدما التعاريف الدقيقة لتلك المفاهيم. ويُعدّ المعجم مرجعا لكل من يعمل في مجال الترجمة والتأليف في الرياضيات باللغة العربية، ولعل هذا ما يبرر ما جاء في مقدمة المترجم الذائع الصيت عالم الرياضيات الليبي المرحوم علي مصطفى بن الأشهر (1940-2007) حين كتب "صحيح أنني شعرت -ولا أزال- بأن المؤلفيْن بالغا قليلا في تضمين كتابهما كل ما يخطر على بال من مصطلحات ومفاهيم ومترادفات قد لا يكون لبعضها أهمية تذكر، ولكنني، مع ذلك، كنت متفهما لأهدافهما وطموحاتهما بجعل المعجم مرجعا مفيدا"[23]. وما يلفت الانتباه أيضا في هذا المعجم جودة إخراجه واعتماده على 10 معاجم وقواميس عربية في اللغة وقليل منها في الرياضيات.

10. معاجم في بلدان عربية أخرى

نلاحظ أن مجمع ليبيا لم يلتفت بعد للمصطلح العلمي بصفة عامة والرياضيات بصفة خاصة رغم وجود لجنة تُعنى بالترجمة والتعريب، وكذا الأمر بالنسبة لمجمع الشارقة والمجمع الجزائري للغة العربية الذي تم تعيين أعضائه قبل شهور. وأما ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري فقد أصدر عام 1980 "معجم الرياضيات" (فرنسي-عربي)[24]، ثم تلاه معجم آخر عام 2017 [25] (إنكليزي-عربي-فرنسي).

وقد كانت هناك مبادرات أيضا في مجمع اللغة العربية السوداني ومنها معجم للرياضيات لكننا لم نتمكن من الاطلاع عليه. وفي تونس نشرت بيت الحكمة كتاب "لغة الرياضيّات في العربيّة" للأستاذ محمد السويسي (1915-2007)[26] وهو ترجمة العمل الذي نال به المرحوم شهادة الدكتوراه في جامعة السوربون قدمه في شكل معجم (فرنسي-عربي) يركز على لغة الرياضيات القديمة، علما أن الترجمة إلى العربية تمت بقلم المؤلف. ولعله من المفيد في هذا السياق أن نشير إلى أن الشيخ الطاهر بن عاشور (1879-1973) الذي كان يدير شؤون جامع الزيتونة هو الذي طلب آنذاك خلال الأربعينيات من محمد السويسي العمل على إدراج تعليم العلوم الحديثة باللغة العربية في المؤسسة الزيتونية ومنها الرياضيات، يقول محمد السويسي في هذا الباب: "وفي الأربعينيات أقحم الشيخ المصلح محمد الطاهر ابن عاشور، شيخ الجامعة الزيتونية مادة الرياضيات بأسلوبها العصري ودروس الفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية ضمن برامج التدريس. وكان لي شرف الاضطلاع بأولى هذه الدروس بالزيتونة والمدرسة الخلدونية، وأمددت الطلبة بأولى الكتب ... حضر دروسي طلبة من تونس ومن الجزائر ... وحتى من المغرب الأقصى فكانت اللبنة الأولى لبناء الوحدة الثقافية للمغرب العربي الكبير"[27].

خاتمة

ما من شك أن معظم العاملين اليوم في مجال الترجمة والتأليف والبحث العلمي يعتمدون على الوثيقة الإلكترونية بدل الوثيقة الورقية أكثر فأكثر، ومن ثمّ فإن المعاجم الورقية ومسارد المصطلحات غير المرقمنة لا تسد الحاجة، وما من شك أن أقلّ ما يطلب منها لكي تنتشر وتعمّ فائدتها هو أن تكون بـ"صيغة المستند المنقول"،

وفي هذا السياق يجمع المتابعون على أن من أهمّ الميزات التي تتوفر في المعاجم الإلكترونية أو بنوك المصطلحات وخاصة التفاعلية منها ما يلي:

1. حداثة المعلومة؛ فبإمكاننا أن نجد المصطلح بعد لحظات من تخزينه في البنك، بينما قد يستغرق وصول المصطلحات الجديدة إلى المستفيد سنوات بعد تاريخ وضع المصطلح.
2. سهولة تخزين المصطلحات وتجميعها إلكترونيا.
3. التعرف بسهولة على التكرار والتناقض في المصطلحات والثغرات في الترتيب الإلكتروني.
4. توفير الوقت والجهد حيث إن الباحث يستطيع خلال لحظات عبر لوحة مفاتيح حاسوبه البحث عن مصطلح بدلا من قضاء ساعات بحثا في المعاجم الورقية.
5. سهولة الوصول إلى توحيد المصطلحات، فعندما ترتبط عدة هيئات وعدد كبير من الأفراد بمصدر واحد فإن هذا سيعينهم على وضع مصطلحات جديدة وتوحيدها.

يتطلب الدور الفعال لبنوك المصطلحات في نشر المصطلح العلمي وتوحيده أن تكون المنصة مفتوحة للجميع والولوج إليها مجانيا، ولكي نزيد من فعالية هذا العمل ينبغي أن يكون هناك بنك مصطلحات أمّ تصب فيه كل البنوك الأخرى إن وجدت، فتكاثر البنوك يشتت الجهود ويعرقل مساعي توحيد المصطلح. ولما لا يتولى شؤون هذا البنك مجمع من مجامع اللغة العربية له من الإمكانات ما يؤهله إلى التكفل بهذه المهمة.

- الإحالات والهوامش:

[1] محمد علي الزركان، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، مج 1، ص 170.

[2] موقع مكتب تنسيق التعريب - الرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، صفحة نشأة المكتب: http://www.arabization.org.ma/Activit%C3%A9sdelOffice.aspx

[3] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (إنكليزي- فرنسي- عربي)، تونس، 1990.

[4] مكتب تنسيق التعريب، دليل مكتب تنسيق التعريب، بنك المصطلحات العربية الموحدة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2016.

[5] موقع المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر - بدمشق - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: https://www.acatap.org/index.php/2011-03-26-23-12-17

[6] موفق دعبول وخضر الأحمد وبشير قابيل ومروان البواب، معجم مصطلحات الرياضيات، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 2018.

[7] صلاح أحمد وموفق دعبول وإلهام حمصي، معجم الرياضيات المعاصرة، مؤسسة الرسالة بيروت، 1983.

[8] موقع الموسوعة العربية: https://arab-ency.com.sy

[9] خاصية مصطلحات الموسوعة العربية في الموقع: https://arab-ency.com.sy/ency/terms

[10] محمد علي الزركان: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ص 167.

[11] المرجع نفسه.

[12] إيمان صالح مهدي وعلي كاظم حسين، المجامع اللغوية العربية: الوظيفة والأداء، المجمع العلمي العراقي أنموذجا، مجلة مداد الآداب، عدد خاص، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، 2019.

[13] جواد علي، معجم مصطلحات المجمع العلمي العراقي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج. 4، ج 1 وَج 4، بغداد، 1956، ص 329-344.

[14] موقع مجمع اللغة العربية الأردني: خاصية المصطلحات: https://arabic.jo/?cat=53

[15] موقع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي: https://www.kfas.org/ar/

[16] فوزي مصطفى دنان وآخرون، معجم الرياضيات (عربي-عربي)، إدارة التأليف والترجمة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1983، ص11.

[17] أحمد شفيق الخطيب، معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، مكتبة لبنان- ناشرون، 1971 (وقد عرف طبعات عديدة منها طبعة 2018).

[18] موقع الطبعة العربية للمجلة الدولية (Nature): https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/

[19] منصة سوار للمعاجم اللغوية - مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية:
https://siwar.ksaa.gov.sa/home

[20] معروف بن عبد الرحمن حسن سمحان وعبد الرحمن بن محمد سليمان أبو عمة وفوزي بن محمد صالح الذكير، قاموس العلوم الرياضية، جامعة الملك سعود الرياض، 2001.

21 Borowski, E. J. Borwein J, Dictionary of Mathematics, Collins, London, 1989.

[22] ج. بوروفسكي (J. Borowski) و ج. بورفاين (J. Borwein)، معجم الرياضيات (Dictionary of Mathematics)، تر: علي مصطفى بن الأشهر، مرا: محمد دبس، أكاديميا، بيروت، 1995.

[23] المرجع نفسه، المقدمة.

[24] أبو بكر خالد سعد الله ويوسف عتيق وعبد الحفيظ مقران، معجم الرياضيات (فرنسي-عربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.

[25] أبو بكر خالد سعد الله، معجم الرياضيات (إنكليزي-إنكليزي-عربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017.

[26] محمد سويسي، لغة الرياضيّات في العربيّة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، 1989.

[27] المرجع نفسه، المقدمة.

- قائمة المصادروالمراجع

* المراجع باللغة العربية

1. أحمد (صلاح) ودعبول (موفق) وحمصي (إلهام)، معجم الرياضيات المعاصرة، مؤسسة الرسالة بيروت، 1983.
2. ج. بوروفسكي (J. Borowski) و ج. بورفاين (J. Borwein)، معجم الرياضيات (Dictionary of Mathematics)، ترجمة: علي مصطفى بن الأشهر ومراجعة: محمد دبس، أكاديميا، بيروت، 1995.
3. الخطيب (أحمد شفيق)، معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، مكتبة لبنان-ناشرون، 1971 (وقد عرف طبعات عديدة منها طبعة 2018).
4. دعبول (موفق) والأحمد (خضر) وقابيل (بشير) والبواب (مروان)، معجم مصطلحات الرياضيات، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 2018.
5. دنان (فوزي مصطفى) وآخرون، معجم الرياضيات (عربي-عربي)، إدارة التأليف والترجمة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1983، ص11.
6. الزركان (محمد علي)، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، مج 1، ص 170.
7. سعد الله (أبو بكر خالد)، معجم الرياضيات (إنكليزي-إنكليزي-عربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017.
8. سعد الله (أبو بكر خالد) وعتيق (يوسف) و مقران (عبد الحفيظ)، معجم الرياضيات (فرنسي-عربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.
9. سمحان (معروف بن عبد الرحمن حسن) وأبو عمة (عبد الرحمن بن محمد سليمان) والذكير (فوزي بن محمد صالح)، قاموس العلوم الرياضية، جامعة الملك سعود الرياض، 2001.
10. سويسي (محمد)، لغة الرياضيّات في العربيّة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، 1989.
11. صالح مهدي (إيمان) وكاظم حسين (علي)، المجامع اللغوية العربية: الوظيفة والأداء، المجمع العلمي العراقي أنموذجا، مجلة مداد الآداب، عدد خاص، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، 2019.
12. علي (جواد)، معجم مصطلحات المجمع العلمي العراقي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج. 4، ج 1 وَج 4، بغداد، 1956، ص 329-344.

13. مكتب تنسيق التعريب، دليل مكتب تنسيق التعريب بنك المصطلحات العربية الموحدة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2016.

14. منصة سوار للمعاجم اللغوية - مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية: https://siwar.ksaa.gov.sa/home

15. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (إنكليزي- فرنسي- عربي)، تونس، 1990.

16. موقع الطبعة العربية للمجلة الدولية (Nature): https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/

17. موقع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي: https://www.kfas.org/ar/

18. موقع مجمع اللغة العربية الأردني: https://arabic.jo/?cat=53

19. موقع المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر - بدمشق - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: https://www.acatap.org/index.php/2011-03-26-23-12-17

20. موقع مكتب تنسيق التعريب - الرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: http://www.arabization.org.ma

21. موقع الموسوعة العربية: https://arab-ency.com.sy

*** المراجع باللغة الأجنبية**

- Borowski, E. J. Borwein J, Dictionary of Mathematics, Collins, London, 1989.

أسلوب الإنشاء في مطالع قصائد المعلّقات

Creation Style at the Beginning of the Arab Odes

أحمد خليف الأعرج*

جامعة دمشق - سورية

ah_aarag@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/05/14 -تاريخ القبول: 2024/06/11 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

هدفت الدّراسة إلى تفسير مجيء جملة من الأساليب الطلبيّة في مَطْلع المعلّقات، وقد عُنيت أيضًا ببيان أثر هذه الأساليب في ذهن المتلقّي، ومدى الاستجابة الحاصلة منه، فعمدت الدّراسة إلى تعريف الأساليب الطلبيّة التي انحصرت في (الأمر والاستفهام والنّداء)، وحاولت التماس ما وراء ذلك وتعليله؛ فعرَّفتْ هذه الأساليب الثلاثة وبيّنَتْ أهميّتها، وسعَتْ إلى التماس الأسباب التي دَعَت هؤلاء الشعراء إليها، وحاولت إيضاح الأغراض البلاغيّة التي نتجتْ عنها، ووصلت إلى أنّ لهذه الأساليب أثرها وقوّتها في التأثير بالمتلقّي وشدّ انتباهه وتشنيف أسماعه، وإثارة خياله. وعمدت إلى تصنيف هذه القصائد بحسب الأساليب، فبدأت بأسلوب الأمر ووجدت أربعَ قصائد منها تنتظم فيه، ثم لاحظت أنّ أسلوب الاستفهام يأتي بالدّرجة الثانية بعد الأمر، ووقفت على ثلاث قصائد درجت عليه، وأخيرًا أسلوب النّداء الذي جاءت عليه قصيدة واحدة فحسب.

الكلمات المفتاحيّة: أسلوب؛ الإنشاء؛ قصائد؛ المعلّقات؛ الأمر؛ الاستفهام؛ النّداء.

* المؤلف المراسل: أحمد خليف الأعرج

Abstract:

The study aims to elucidate the emergence of various imperative styles at the beginnings of the Arab Odes. It also examines the impact of these styles on the mind of the recipient and the extent of their response. The study defines the imperative styles, focusing on (commands, interrogatives, and appeals), and seeks to explore their underlying motivations and justifications. It defined these three styles and elucidated their importance, sought to explore the reasons that prompted these poets to use them, and attempted to clarify the rhetorical purposes that resulted from them. it concludes that these styles effectively influence the recipient, capturing their attention and stimulating their imagination. Additionally, It proceeded to classify these poems according to their styles. It began with the imperative style and found four poems that adhere to it. Following this, It observed that the interrogative style comes second after the imperative, with three poems categorized under it. Lastly, there is the style of appeal, represented by only one poem.

Keywords: style; creation; poems; Suspended Odes; command; interrogative; appeal.

- مقدّمة

لقصائد المعلّقات مكانة سامقة بين عيون الشّعر العربيّ؛ إذ إنّها أوّل ما احتُفل به من تراثنا العربيّ، وأشهر ما تناشدتْه العرب في أيّامها وبيان أحوالها، وأكثرها تداولًا ودِراسةً على ألسنة العلماء والنُّقّاد. وتعود أهميّة هذه القصائد إلى احتوائها على ثروات وقِيَمٍ عدّة: لغويّة وأدبيّة واجتماعيّة وتاريخيّة وثقافيّة؛ وذلك لأنّها تعكس حياة العرب آنذاك، وتُلقي الضّوء على أيّامهم وعاداتهم وحروبهم وتقاليدهم في ذلك العصر، كما أنّها تُمثّل الشكل الفنّي للقصيدة الجاهليّة؛ وذلك في ابتدائها بالمقدّمات: كالمقدّمة الطلليّة أو الغزليّة أو الخمريّة وغيرها، ثمّ تجعل هذه المقدّمات بأنواعها وسيلةً للانطلاق إلى الموضوع الرئيس من مدحٍ أو فخرٍ أو رثاء أو اعتذار على اختلاف الغرض والموضوع، إضافة إلى أنّ هذه المعلّقات أوّلُ وثيقة لغويّة تاريخيّة تصل إلينا من هذا الفنّ الشعريّ.

وقد كثُرت أسماء هذه القصائد وتعدّدت ألقابُها وتباينت بعض قصصها نظرًا لأهمّيّتها وشدّة الاحتفاء بها لدى العرب، فكان منها: المعلّقات[1] وهو أشهرها، كما أطلقت عليها أسماء أخرى مثل: السّموط[2]، والمذهّبات[3]، والمشهورات، والسبعيات[4]. وهي أسماء تدلّ على قيمتها الفنّيّة والمعنويّة لدى العرب. ووُصِفت هذه القصائد بأسماء وألقاب وذلك بحسب الكتب والشروح التي أُلِّفَتْ فيها تبعًا لعدد قصائدها مثل: القصائد السبع الطوال الجاهليّات[5]، وشرح المعلّقات السبع[6]، وشرح القصائد التسع المشهورات[7]، وشرح القصائد العشر[8].

ولهذه الأسماء والألقاب دلالة على أهميّة هذه القصائد عند العرب وعلوّ مكانتها وشدّة العناية بها، ومن ناحية أخرى تدلّ على اختلاف أصحاب هذه المؤلّفات في عدد شعراء المُعلّقات وفي قصائدهم أحيانًا، وكذلك في تفضيل بعضهم على بعض أحيانًا أخرى؛ إذ إنّ أبا زيد القرشيّ صاحب (جمهرة أشعار العرب) اختلف عن الزوزنيّ في أنّه أسقط (الحارث) و(عنترة) من أصحاب المعلّقات، وجعل مكانهما (النّابغة) و(الأعشى)[9]، وهذا ما يجعلنا نذهب إلى بعض الكتب الأخرى التي تضّمنت قصيدةً من المعلّقات، ونُثبت لبعضهم قصيدتين وذلك إذا بدأ كلا القصيدتين بأسلوبٍ إنشائيّ، وهذا كما كان من أمر النّابغة والأعشى. على أنّ كثرة الأسماء لهذه القصائد تدلّ على شَرَفِ المُسمّى، وهذا النّحوُ من الأسماء مِيزة من مزايا اللغة

العربية، فقد ذكر الخفاجيّ أنّه مَن تتبّع جميع اللغات لم يجد فيها لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الأسماء للمسمى الواحد[10].

وليس هذا البحث بصدد بيان أهميّة هذه القصائد أو دراستها تاريخيًّا أو اجتماعيًّا أو ثقافيًّا، كما أنّه لن يقف على شرح معاني الكلمات؛ ذلك أنّ البحث موجّهٌ إلى المُختصّين ومَن عنده معرفة بمُعجم القصيدة الجاهليّة، وإنّما يسعى إلى إسقاط الضوء عليها من جانب لغويّ أسلوبيّ، وبيان ما تصدّرت به هذه المعلّقات مطالعها الشعريّة من أساليب؛ إذ إنّ ممّا يلفت النّظر ويشنّف الأسماع ويدعو القارئ إلى التّأمُّل ابتداءَ جُلّ شعراء المعلّقات بالأساليب الإنشائيّة الطلبيّة من أمر واستفهام ونداء. هذه الأساليب فيما يبدو لم ترد مصادفة أو عفو الخاطر، وإنّما يوجد خيطٌ إنشائيٌّ جَمَعَها أو كاد؛ ولعلّ لهذه الأساليب أثرها وقوّتها في التأثير بالمتلقّي وشدّ انتباهه وتشنيف أسماعه وإثارة خياله. وهذا ما سيدور حوله البحث، ويركّز على بعض تجليّاته في هذه المطالع الشعريّة، ويُحاول أن يبيّن دواعي لجوء جُلّ شعراء هذه المعلّقات لهذه الأساليب والابتداء بها.

مَن ينظرْ إلى مطالع المعلّقات وأنواع الجمل فيها يجدْ أنّ أكثرها يبدأ بالأسلوب الإنشائيّ، وغالبًا ما يكون هذا الإنشاء طلبيًّا. ينطلق البحث من هذه الملحوظة إلى صياغة سؤال بحثيّ: هل الأساليب الإنشائيّة أكبر وقعًا وأبلغ أثرًا في ذهن السامع أو المتلقّي؟

يرمي هذا البحث إلى دراسة الأساليب الإنشائيّة الواردة في مطالع هذه المعلّقات من أمر واستفهام ونداء، فيعمد إلى تعريف هذه الأساليب، وذكر آراء بعض العلماء فيها نحوًا وبلاغةً، مُبيّنًا أثرها في المتلقّي وقوّة وقعها على السامع؛ للوصول إلى سبب لجوء جُلّ هؤلاء الشعراء إلى هذه الأساليب وبيان نَباهة شعراء المعلّقات وبلاغتهم، وذلك في طرقهم لباب الأساليب الإنشائيّة غالبا في مطالع معلّقاتهم.

ينطلق البحث من استقراء قصائد المعلّقات والنّظر في مطالعها لبيان الأساليب التي تبدأ بها هذه القصائد، ويركّز على الأساليب الإنشائيّة منها، فيعمد إلى اقتباس الأبيات السبعة الأولى منها غالبًا، والتّعليق عليها بما يخدم هدف البحث، مُعتمدًا أوّلًا على شرح أبي بكر محمّد بن القاسم الأنباريّ المتوفّى سنة 328هـ، ثُمّ الشّروح الأخرى بما يخدم الموضوع. وسيُذكر مطلع القصيدة الأخرى ممّا اختُلف من الشعراء

في معلّقاتهم، وقد يُكتفى بثلاثة أبيات أو أربعة وذلك بحسب تحقيق غرض البحث ونوع الأسلوب مثل: معلّقة النّابغة الذّبيانيّ والأعشى، وذلك تتميمٌ للفائدة ومحاولةٌ للإحاطة بجوانب البحث والإلمام بها.

1. الأساليب والتّراكيب في العربيّة

ينشأ التّركيب في اللّغة العربيّة عن جُملة مفيدة، وهذا التّركيبُ قسمان: الأوّل تركيبٌ نحويّ: وهو الذي تُعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً، والثّاني تركيبٌ بلاغيّ: هو التّركيب النّاشئ عن الانحراف والعدول عن المعنى الحرفي إلى المعنى الأدبي المنمّق؛ إذ إنّه لا يقف عند الإعراب وإنّما يخرج عن الكلام المألوف من أجل إنتاج دلالات أكثر عمقًا[11]. وهذا التّركيب الذي ينشأ عن الانحراف اللغويّ والعدول فيه يتجلّى الجمال الفنيّ للصورة الشعريّة، ويندرج فيه غرض الشاعر وغايته من قصيدته، بيد أنّ النّاظم لا غنى له عن معرفة خصائص التّركيب النحويّ وأصوله، فتَرَاهُ يعمدُ إلى انتقاء كلماته وتوظيف الأساليب والتّراكيب المُناسبة في القصيدة، وتجده يُقدّم ويؤخّر ويحذف ويُثبت ويُعرّف ويُنكّر ويُضمر ويُظهر؛ قال عبد القاهر الجرجانيّ: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ... وذلك أنا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في وجوه الحال، وفي الحروف والفرق بينها بعضها عن بعض وفي حروف العطف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار والإضمار والإظهار والجمع والتقسيم والتشبيه التمثيلي"[12]، نلاحظ أنّ الجرجانيّ قد رصد بقوله السالف جُلّ وجوه جُمل العربيّة وتراكيبها وما يطرأ عليها من تغيير وتقديم وتأخير، ويتّخذ النّاظم الأسلوب المناسب للغرض المُراد بشكلٍ فنيٍّ مُناسب، وقد ألمحَ محمد عبد المطّلب[13] إلى ذلك بقوله: لقد أسهمت الدراسات القديمة في هذا المجال، وقدّمت فِكرًا يتصل بمفهوم الأسلوب وصلته بالأدب، واتّفق الشعراء والكتاب على أن الأسلوب هو مجال التَّفرُّد والتَّميُّز؛ لأنه مزيج من الجمال الفنّي الذي يستطيع نقل الواقع وتصويره.

2. الأسلوب الخبري والإنشائي

ينتظم الأسلوب في اللغة العربية في نوعين، أحدها الأسلوب الخبري: وهو ما يحتمل الصدق أو الكذب في الكلام كأن تقول: جاء زيدٌ، إنّ الامتحانَ قريبٌ. والمُراد

بالصدق ما طابقت نسبة الكلام الواقع وبالكذب خلافه؛ وعليه فالمثالان السابقان قد يحتملان الصدق أو الكذب وذلك بحسب مطابقة الكلام للواقع. وأمّا الأسلوب الآخر فهو الأسلوب الإنشائيّ: وهو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب، والأسلوب الإنشائيّ يندرج في نوعين أيضًا: طلبيّ وغير طلبيّ، والأسلوب الطلبيّ هو ما يعنينا في بحثنا هذا، قال القزويني في تعريفه: "والطلب يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"[14].

وللإنشاء الطلبي أنواع: الأمر، والاستفهام، والنهي، والتمني، والنّداء. على أنّ لهذه الأنواع أغراضًا مجازيّة ومعاني يخرج إليها الأسلوب، وذلك تبعٌ للسياق والموقف. وسيعرض البحث ما ورد من هذه الأساليب الإنشائيّة في مطالع قصائد المعلّقات مُبتدئًا بأسلوب الأمر موافقةً لِما جاء في مُعلّقة امرئ القيس، ثمّ يضم إليها ما شابهها من المُعلّقات في هذا الأسلوب، وبعدها ينتقل إلى أسلوب الاستفهام؛ تبعًا لمُعلّقة زهير، ويُردف إليها ما وافقَها من مطالع هذه القصائد، وأخيرًا يتفرّد بأسلوب النّداء في قصيدة الأعشى.

3. تجلّي الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في المعلّقات:

1.3. أسلوب الأمر

الأمر هو طلبُ حدوث فعل ما على جهة الاستعلاء حقيقةً أو ادّعاءً؛ أي سواءٌ أكان الطالب أعلى في واقع الأمر أم مدّعيًا لذلك[15]. ويأتي الأمر على صيغ، وهي: فعل الأمر، والمضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر. ولأسلوب الأمر أثره في المتلقّي؛ إذ إنّه يحثّه إلى المُبادرة والاستجابة لهذا الطلب أو ذاك، ويخرج فعل الأمر إلى معان جديدة وأغراض بلاغيّة أخرى بحسب سياق الكلام ومقاصده، وبالنّظر إلى قصائد المعلّقات ومُلاحظة مطالعها وجدَ البحث غير قليلٍ من قصائد المعلّقات تبدأ بأسلوب الأمر، وهذا الأسلوب له النصيب الأكبر في قصائد المُعلّقات؛ إذ إنّ أوّلها معلّقة امرئ القيس الكنديّ، وثانيها معلّقة عمرو بن كلثوم التّغلبيّ، وثالثها معلّقة الأعشى، ورابعها معلّقة النابغة الذبيانيّ. ولكل من هذه القصائد مُناسبتها وزمنها وأثرها وظروفها الخاصة التي نشأت مع ولادتها، ولها أيضًا هدفٌ ورسالة يريد أن يبلّغها هذا الشاعر إلى أهله أو مَن جاء بعده.

1.1.3. معلّقة امرئ القيس

إذا ما ذهبنا إلى أُولى هذه القصائد وغُرّة المعلّقات التي تُطالعنا في مُصنّفاتهم نجدها مُعلّقة الكنديّ، بل هي أوّل ديوان الشّعر العربيّ ومَطْلعه، وقد بلغت من الشهرة في علم الأدب والشعر مَبْلغها، ونالت منزلةً ليست لغيرها، حتى جُعلت مثلًا أعلى في الجودة، وضُرب بها المثل في الحسن والشهرة، فقيل: (أشهر من قفا نبك)[16]، نجد أنّ امرأ القيس يبتدئ مَطْلعها بفعل الأمر، وذلك بقوله[17]:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ
فَتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعفُ رَسْمُها ... لِما نسجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأَرآمِ في عَرَصَاتِها ... وقيعانها كأنّه حبُّ فُلْفُلِ
كأَنّي غَداةَ البَينِ يَومَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُم ... يَقُولونَ: لا تَهلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ
وإنّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهَراقَةٌ ... فَهَلْ عِندَ رَسْمٍ دارِسٍ من مُعَوَّلِ
كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَها ... وَجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ

نلحظ أنّ امرأ القيس ابتدأ مُعلّقته بفعل الأمر (قفا) وهو أسلوبٌ طلبيٌّ إنشائيٌّ مُهمٌّ يتطلّبُ تنبُّه السامع/ أو القارئ (المُتلقّي) لما سيأتي من وراء هذا الأمر؛ كأنّ امرأ القيس أراد من هذا الأسلوب التماس المساعدة ممَّنْ معه، وطلب العون لمؤازرته والوقوف معه أمام هذا الخطب الجلل، وهو يستذكر أيّامًا خَلَوْنَ في تلك الديار، ولم يبق غير رسومها آيةً عليها. ولعلّ امرأ القيس مدَّ هذه الألف في (قِفا) واستعرض الذكرى استعانةً بصاحبيه وطلبًا للمشاركة في مُصابه وإطالةً للوقوف، ويبدو أنّ أسلوب الأمر وإطالة الصوت كانا خيرَ مُعين لنفسيّة الشاعر الغارقة في الحزن والذكرى. غير أنّ لاعتلال هذا الفعل (قفا) أقوالًا ثلاثة لدى أصحاب اللغّة أوجزها ابن الأنباريّ في شرحه، نشير إليها باختصار لأهميّتها: أوّلها: أنّه خاطبَ رفيقين له، وثانيها: أنّه خاطبَ رفيقًا واحدًا ثمّ ثنّى؛ ذلك لأنّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين: من ذلك قولهم للرّجل: قوما، واركبا. ومنه قوله تعالى مُخاطبًا لمالك خازن النّار﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق:٢٤]. ومنه شواهد شعريّة ليست بالقليلة كقول سُويد بن كراع:

فَإِنْ تَزْجُرانِي يا ابنَ عفَّانَ أنزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَاني أَحْمِ عرضًا مُمَنَّعا

وثالثها: أنّه أراد (قِفَنْ) بالنّون، فأبدل الألفَ من النّون، وأجرى الوصل مجرى الوقف. ولهذا شواهد في لغة العرب: منه قوله تعالى ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العَلَق:١٥]، أراد (لَنَسْفَعَنْ). ومنه أمرُ الحجّاج في قَتْل رجل: يا حرسي اضربا عُنُقَه. مُريدًا (اضربَنْ)، مُبدلًا الألف من النّون، على أنّ المخاطب واحد. ومنه قول الأعشى:

وصَلِّ على حينَ العَشِيّاتِ والضُّحَى ولا تَحْمَد المثرينَ واللهَ فاحمدا

أراد (فاحمدنْ). وأضاف ابن الأنباريّ قولا رابعًا عنهم، ومفادُه أنّه أراد: (قفْ قفْ) على تكرار الأمر، ثم جعلهما في لفظةٍ واحدة[18]. ومهما يكن من أمر فهي استعمالات صحّتْ عنهم بورودها في كتب اللّغة والأدب، ووجود نظائرها في القرآن الكريم وفصيح كلام العرب شعرًا ونثرًا. على أنّ هذه الأقوال تدور في فلك أسلوب الأمر والطلب؛ إذ جاءت (نبكِ) مجزومةً لوقوعها جوابًا للطلب في فعل الأمر (قفا)، ومُراعاةً للنّظم والترتيب وتوخّي معاني النحو، وذلك بإشارة الجرجانيّ إليها في تعليقه على الشطر الأول منها؛ إذ قال: "هذا الترتيبُ، من غيرِ أنْ يتوخَّى في معانيها ما تَعْلم أنَّ امرأ القيس توخَّاه مِنْ كونِ (نَبْكِ) جواباً للأمرِ..."[19]، جاء ذلك مُراعاةً لقواعد اللغة ونظم الشعر، إضافة إلى أنّه قولٌ جامع؛ جمعَ معاني كثيرة في هذا الشطر من البيت، وهو ما دفع العلماء والنُّقّاد الأقدمين إلى الافتخار به والإعجاب بنظمه وسَبْكه، وعدَّوه أفضل ابتداء في الشعر، وقالوا فيه قولتهم المشهورة: "وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم"[20]، وهذه المعاني الكثيرة التي وُلدت من هذا الشطر الشعريّ نتجت عن أسلوب الأمر؛ ذلك لأنّ الأسلوب الإنشائيّ أكثر استيعابًا للمشاعر والانفعالات وأعمق تأثيرًا في المُتلقّي.

وممّا يؤكّد فعل الأمر في مطلع قصيدة امرئ القيس مجيءُ المصدر (وُقُوفًا) منصوبًا في البيت الخامس؛ حرصًا منه على وقوف أصحابه معه ومُساندتهم له وتأمّلهم هذا المشهد، وذلك في أحد وجوهها[21]؛ وهو ما ذكرَه ابنُ الأنباريّ من قول أبي

العباس: "وأنا أذهب إلى أنّ وقوفاً نصب على المصدر لِقفَا، قال: والتقدير: قفا كوقوف صحبي عليّ مطيَّهم"[22]. وهو متعلقٌ به في المعنى مصروف إليه، بل القصيدة كلّها تكرارٌ معنويّ للشطر الأول من مطلع هذه القصيدة ودورانٌ حوله كما ذهب الأستاذ النّاقد وهب روميّة في دراسته على الشعر القديم[23]؛ دعوةً منه إلى التأمُّل والتبصُّر في مشهد انكسار الذات وأحلام القوّة في رؤية الذات في القصيدة العربيّة القديمة، وفي هذا إشارة إلى ربط المطلع بالوحدة النّفسيّة للشّاعر في القصيدة. ولعلّ لجوء امرئ القيس هنا إلى أسلوب الطلب مردّه إلى أنّ الشاعر صوت القبيلة، فيرى نفسه أنّه حقيقٌ بأن يُسمع ما يصدر عنه، ويرنو إلى أن يعتدّ برأيه وقوله.

2.1.3. معلّقة عمرو بن كلثوم التّغلبيّ[24]

هي من قصائد الفخر والاعتزاز بالذّات والقبيلة، قالها ابن كلثوم يفخر فيها بقبيلته تغلب على بكر بن وائل، قال فيها:

أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فَاصبَحينا	وَلاَ تُبقي خُمُورَ الأندَرِينَا
مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فيها	إذا ما الماءُ خَالطَهَا سَخينَا
تَجُورُ بذي اللُّبانَةِ عَن هَواهُ	إذا ما ذاقَها حتّى يَلينَا
تَرَى اللَّحِزَ الشّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ	عَلَيْهِ لِمَالِهِ فيها مُهِينَا
وإنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنا المنايا	مُقَدَّرَةً لنا ومُقَدَّرِينا
قِفِي قَبْلَ التفرُّقِ يا ظَعِينا	نُخَبِّرْكِ اليقينَ وتُخْبِرينا
بِيَوْمٍ كَرِيهةٍ ضَرْبًا وطَعْنًا	أَقَرَّ به مَواليكِ العُيونا

نلاحظ أسلوب الأمر في قوله (هُبّي)، أراد منه: قومي بهمّةٍ ونشاط؛ لتسقينا خمور الأندرينا. وقد جاء في العين في معنى هذا الفعل: "هب: هبّتِ الرّيحُ تَهُبُّ هُبوباً، والنّائم يَهُبُّ هبّاً، والسّيف يَهُبُّ، إذا هُزَّ"[25]، فالمعنى هنا دائرٌ في القيام بهمّةٍ وخِفّة، وممّا زاد هذا الأمر تأكيدًا سَبْقُه بأداة الافتتاح والعَرْض (ألا) مُناسبةً لمقام المأمور، ذلك أنّ العَرْض طلبٌ بلِين، فهو يطلب من تلك الساقية أن تقوم بسرعة وهمّة، وأردف بفعل أمر آخر (فاصبَحينا) ومعناه: فاسقينا صبوحًا، وهو شُربُ الغداة، وأمّا (الأندَرِينا) فهي قرية بالشام جنوبي حلب[26]، تكثر فيها الخمر وتُنسب إليها. وبعد ذلك يأخذ بوصف هذه الخمرة وأثرها في شاربها، ليقف بنا مع فعل الأمر (قفي) مستوقفًا تلك

الضعينة لمُساءلتها وإخبارها عن أمجادهم وفِعالهم في ساحات الوغى؛ ليفتح الباب على مصراعيه لغرض الفخر به وبقبيلته، ومن ثمّ يستكمل ابن كلثوم مُعلّقته مُدليًا بأغراضه الشعريّة من فخر ومدح.

3.1.3. معلّقة الأعشى[27]

وَدِّعْ هُرَيرَةَ إِنَّ الرَّكبَ مُرتَحِلُ وَهَل تُطيقُ وَداعًا أَيُّها الرَّجُلُ
غَرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عَوارضُها تمشي الهُوَيْنى كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ
كَأَنَّ مِشيتَها مِنْ بيتِ جارتِها مَرُّ السَّحابِ لا ريثٌ ولا عَجَلُ
تَسْمَعُ للحَلي وَسْواسًا إذا انصرفتْ كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
لَيْسَتْ كَمَنْ يكرهُ الجِيرانُ طلعتَها ولا تراها لِسِرِّ الجارِ تَخْتَتِلُ
يكادُ يَصْرَعُها لولا تَشَدُّدُها إذا تقومُ إلى جاراتها الكَسَلُ
إذا تُلاعِبُ قِرْناً ساعةً فَتَرَتْ وارتَجَّ منها ذنوبُ المَتْنِ والكَفَلُ

نجد أنّ الأعشى ابتدأ الشطر الأوّل من مُعلّقته بفعل الأمر (وَدِّعْ)، وكأنّ الأعشى كسابِقَيْه من شعراء المُعلّقات (امرئ القيس) و(عمرو بن كلثوم) لديهم شعورٌ فِطريّ بأنّ أسلوب الأمر يشدّ القارئ، ويُلحُّ في تنبُّه المُتلقّي إلى أهمّيّة الكلام القادم وضرورة الامتثال له. على أنّ أسلوب الإنشاء الطلبيّ يُعطي السامع فرصة إثارة الخيال، وزيادة الاحتمالات والتوقّعات؛ لذا يُبقي عقل المتلقّي مُتيّقظًا نَبِهًا، وهذا ما جعل كثيرا من أصحاب المعلّقات يطرقون هذه الأساليب. ونلاحظ أنّ الأعشى في هذا المَطْلع جرّدَ من نفسه إنسانًا آخر يُخاطبه، وهذا الفنّ يُعرف عند البلاغيين بأسلوب التّجريد، وعلى هذا النّمط كوْنُ الإنسان يخاطِبُ نفسه حتَّى كأنّه يُقَاوِلُ غَيْرَهُ[28].

وأكملَ الأعشى في الشّطر الثاني من البيت بأسلوب إنشائيّ آخر، وهو أسلوب الاستفهام (وَهَل تُطيقُ وَداعًا أَيُّها الرَّجُلُ)، وهو استفهامٌ خرج إلى معنى الإنكار أي: كيف يُمكنك أن تُطيقَ فراقَ مَن هذه صفاتها! ثمّ يشرع في وصف جمال هذه المحبوبة أو القَيْنة، ويُطنب في ذِكر صفاتها الحسّيّة حُبًّا منه لها وطمعًا في عدم فراقها، وهي وإن لم تكن محبوبته حقًّا كما ذهب بعضهم إلى أنّها قينةٌ، فإنّ ما سلكَه أسلوبٌ فنّيّ نَسيبيّ جرى عليه الشّعراء للوصول إلى أغراضهم الشعريّة، وساهم فيه أسلوبا الأمر والاستفهام والألفاظ العذبة الرقيقة التي تلتهما آيةً على بلاغة الأسلوب الإنشائيّ،

وبيان مدى العذوبة والسلاسة التي تتيحها الأساليب الإنشائيّة وانسجامها مع بيئة الشعر نفسه.

4.1.3. معلقة النابغة الذبياني[29]

عُوجُوا فحَيّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ مَاذَا تُحَيّونَ مِنْ نُؤْيٍ وأَحْجَارِ
أَقْوَى وَأَفْقَرَ مِنْ نُعْمٍ، وَغَيَّرَهُ هُوجُ الرِّياحِ بِهَابِي التُّربِ مَوَّارِ
وَقَفْتُ فيها، سَراةَ اليَومِ، أَسْأَلُها عَنْ آلِ نُعْمٍ، أَمُوناً، عَبْرَ أَسْفَارِ

بدأ النّابغة قصيدته هذه -إنْ صحَّتْ نِسبتُها إليه- بفعل الأمر (عوجوا)، وهو بمعنى قفوا واعطفوا على هذه الديار. قال ابن منظور في هذا المعنى: "يقال عاج بالمكان وعوج أي أقام. وقيل: عاج به أي عطف عليه ومال وألم به ومر عليه"[30]. ثمّ أعقبَه بفعل أمر آخر تأكيدًا منه على ضرورة المرور إلى ديار نُعمٍ وإلقاء التحيّة عليها، ثُمّ ما لبث أن رجع إلى نفسه واستدرك بأسلوبٍ إنشائيّ آخر وهو الاستفهام: (مَاذَا تُحَيّونَ مِنْ نُؤْيٍ وأَحْجَارِ)، ويبدو أنّ هذا الاستفهام خرج إلى معنى الإنكار والعودة إلى واقع الأمر وحقيقته الذي آلت إليه ديار نُعم.

ولعلّ هذه القصيدة أشبه بمطلع معلّقة الأعشى السّابقة؛ إذ إنّها تبدأ بالأمر في الشطر الأوّل، ثمّ تنتقل إلى الاستفهام في الشطر الثاني، وكأنّ الشّاعرين يعيشان حالةً نفسيّةً واحدة تملؤها الحَيرة وإنكار الواقع الذي صارَتْ إليه أحوالهما، فهما في صراعٍ بين الأمل والألم، وبهذين المطلعين يشدّان انتباه القارئ ويسترعيان عطفه ووجدانه، ويُشنّفان سَمْعَه وفؤاده ويُطلقان خياله لِمَا يأتي من كلام فيما بعد. ويجدر التّنبيه إلى أنّ هذه القصيدة لا يمكن الاطمئنان لنِسبتها إلى النّابغة لسببين: الأوّل: أنّ جُلّ مَن شرحَ المُعلّقات وصنَّفَ فيها جعل لاميّة النّابغة هي المعلّقة وليس هذه القصيدة، والثاني: أنّ مُحقّقي ديوانه محمد أبو الفضل وشكري فيصل صرَّحَا بأنّها منحولةٌ عليه؛ قال الأوّل منهما قبل أن يبدأ بعرض أبياتها: "وقال النابغة، وهي أبيات منحولة"[31]؛ ولذلك اكتفى البحث بذِكْر الأبيات الثلاثة الأولى منها. وممّا يشدّ إلى إثبات هذه الأبيات أمران أيضًا: الأوّل: أنّ بعض أصحاب المصنّفات عدَّها مُعلّقة النابغة، ومن هؤلاء: أبو زيد القرشيّ، وأبو عمرو الشيبانيّ، وقد ذُكر ذلك في الإحالات والهوامش من هذا البحث. والثاني: ابتداء هذه القصيدة بأسلوب إنشائيّ طلبيّ، وهو

ما ينسجم وموضوع البحث، ويسير مع عناية الشعراء الجاهليّين في مطالع مُعلّقاتهم وتوظيف الأساليب الإنشائيّة فيها للأسباب التي عرَّجَ عليها البحث آنفًا.

2.3. أسلوب الاستفهام

الاستفهام هو طلبُ الفهم لمعرفة شيء لم يكن معلومًا من قبل، والاستفهام يكون عند إرادة العلم بالشيء وطلب الخبر، قال صاحب (مفتاح العلوم): "والاستفهام لطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق"[32]، وهذا القول يقودنا إلى الحديث عن أنواع الاستفهام من حيث التّصوّرُ والتّصديق، وبالحديث عن همزة الاستفهام يمكن توضيح ذلك من خلال المثال؛ فالتصديق: يكون بإدراك النسبة وتعيينها، نحو: أجاءَ زيدٌ؟ والجواب عنها يكون بالإيجاب بـ: نعم أو لا، وتُشارك (هل) همزة الاستفهام بهذا المعنى؛ إذ إنّها يُطلب بها التّصديق، نحو سؤالك: هل جاءَ زيدٌ؟ فيكون الجواب بـ: نعم أو لا. وأمّا التصوّر: فهو إدراك المفرد أي تعيينه، نحو: أجاءَ زيدٌ أم ذهب؟ الجواب عنها يكون بتحديد المفرد واختيار أحدهما: أي جاء أو ذهب. وهذا التصوُّر يأتي مع بقيّة أسماء الاستفهام مثل: (ما، وماذا، وغيرهما من أسماء الاستفهام)، كما أنّ الاستفهام يخرج إلى معانٍ أخرى تُراد من سياق القصيدة وموقف الشاعر، وحالته النّفسيّة والشعوريّة عندما يُلقي قصيدته.

1.2.3. معلقة زهير[33]

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فالمتَثَلَّمِ
دِيَارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّها ... مَرَاجِعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ
بِهَا العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلفةً ... وَأَطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشرينَ حِجَّةً ... فَلَأْياً عَرَفْتُ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
أَثَافِيَّ سُفْعاً في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لم يَتَثَلَّمِ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا: ... أَلاَ انعَمْ صَباحاً أَيُّها الرَّبْعُ واسْلَمِ
تَبَصَّرْ خَليلي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ... تَحَمَّلْنَ بالعَلياءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُم

نلحظُ أنّ زهيرًا بدأ معلّقته بأسلوب الاستفهام، واستعمل حرف الهمزة في سؤاله، لكنّ هذا السؤال لا يبدو على حقيقته من الحاجة إلى طلبِ الفهم والمعرفة، بل إنّه استفهامٌ إنكاريّ؛ إذ إنّه يُنكر الحال الذي آلت إليه آثار ديار أمّ أوفى، ويُرافق ذلك حسرةً وتوجُّعًا. وهذا الأسلوب ذو وظيفة دلاليّة عميقة؛ إذ يُمكن استعماله للسؤال عمّا خفي، وكذلك يُمكن استعماله للإنكار وإفادة الإخبار كما في هذا المثال، وذلك يعود إلى إمكانات هذا الأسلوب من ناحية، وقُدرة الشاعر على استخدامه استخدامًا فنيًّا، وتوظيفه في السياق توظيفًا موفّقًا من ناحية أخرى[34].

ويبدو أنّ الاستفهام في هذا البيت أُقيمَ على (الدّمن)، قال صاحب الجمهرة في معنى هذا البيت: "أمِنْ دِمَن أُمِّ أَوفَى دِمْنة لم تَكَلَّمِ"[35]، وهو ما ذهبَ إليه بعض المعاصرين وعلّله بأنّ الشّكّ يقع عليها أي (الدّمن) وليس على أمّ أوفى، غير أنّ القضيّة قضيّة أمّ أوفى لا قضيّة الديار ولا الآثار ولا الدمن، ولذلك أجرى الشاعر كلامه على الحذف، ولم يقل: أمن دمن أمّ أوفى دمنة لانصراف العناية والاهتمام لأمّ أوفى خاصة[36]. ثمّ بعد هذا الاستفهام الإنكاري وذِكر أمّ أوفى وآثار الدّيار ودِمَنه وحيوانه وتحسُّره على ذلك يدلف زهير إلى دعوة خليله إلى التبصُّر والتأمّل لرؤية ضعائن تلك المحبوبة للولوج إلى غرضه الشعريّ وبيان شرف عصمة الدّماء، والحِفاظ على العهود ونبذ الحرب.

2.2.3. عنترة بن شداد[37]

هل غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هَلْ عَرَفتَ الدّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ
يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمي صَباحاً دارَ عبلةَ واسْلَمِي
فَوقَفتُ فيها ناقَتي وكأَنَّها ... فَدَنٌ لأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلوِّمِ
وتَحُلُّ عَبْلةُ بالجِواءِ، وأَهْلُنا ... بالحَزْنِ فالصَّمَّانِ فَالمُتَثَلِّم
حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ
حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فأصْبَحَتْ ... عَسِرًا عَلَيَّ طِلابُكَ ابنَةَ مَخْرَمِ
عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا ... زَعَمًا لَعَمْرُ أبيكَ لَيسَ بِمَزْعَمِ

بدأ عنترة قصيدتَه بتكرار حرف الاستفهام (هل) في شطرَي مَطْلع المعلّقة، ويبدو أنّ هذا الاستفهام ليس مُرادًا منه السؤال الذي ينتظر الإجابة، وإنما خرج الاستفهام

إلى معنى النّفي والإنكار، قال الزوزنيّ في شرحه على المعلّقات: "وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، أي لم يترك الشعراء شيئًا يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغه فيه"[38]. ثمّ أعقبَ عنترة هذا الاستفهام بنداء دار عبلة والدعاء لها بالسُّقيا والوفرة والسلامة من الآفات، قال أبو بكر ابن الأنباريّ: "وقوله (وعمى صباحا) أراد: انعمى واسلمى في الصَّباح من الآفات"[39]، وهذا المعنى الغالب في تحيّة شعراء الجاهليّة؛ ومَن ينظر في شعرهم يجد جلاء ذلك في قول امرئ القيس:

ألا عِمْ صباحًا أيُّها الطّللُ البالي وهلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العصر الخالي

وذكرَ أبو جعفر النّحَّاس والأزهريُّ عن يونس أنّ أبا عمرو بن العلاء سُئل عن قَوْل عنترة (وعِمِي صباحاً دارَ عبلة واسلمي)، فقالَ: "هو من قَولِهم يَعِمُ المطرُ وَيعِمُ البحرُ إذا كثُرَ زَبَدُه، كأنه يدعو له بكثرة الاستسقاء والخير"[40]، بيد أنّ أبا بكر الأنباريّ ردَّ هذا القول وخطَّأَه؛ ذلك لأنّه لم يأتِ (واعْمِي) على مثال (واقْضي)، لأنّ عَمَت تعمى على مثال قَضَت تقضى، لذا ينبغي أن يكون أمر المؤنث منه (اعمِي) على مثال (اقْضِي)[41]. ولعلّ قول أبي بكر بن الأنباريّ الأوّل أوضح وأوعى لفهم المعنى المقصود، والله أعلم.

3.2.3. معلقة الأعشى[42]

مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطْلاَلِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤالي
دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـ ـف، وَحَلَّتْ عُلوِيّةً بالسِّخالِ
لاَتَ هنا ذِكْرَى جُبَيرَةَ، أَوْ مَنْ جاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ
حَلَّ أَهْلي بَطْنَ الغُمَيْسِ، فَبادَو لَى، وَحَلَّتْ عُلوِيّةً بالسِّخالِ

نلحظ أنّ الأعشى بدأ مُعلّقته بالاستفهام بـ (ما)، وهذا الاستفهام لم يرد على وجه الحقيقة وإرادة الجواب عن سؤاله، وإنّما أراد منه الإنكار؛ إذ إنّه أنكر على نفسه البكاء في هذا المقام أمام الأطلال، وجعل استفهامه هذا كأنه يُخبر غيره بعدم نفع ذلك، على الرّغم من صعوبته على الرجل الكبير، وعدم نفعه له. وأمّا الشّطر الثاني من المَطْلع ففيه حملٌ للكلام على المعنى، قال أبو عليّ: "اعلم أنَّ قوله: سؤالي بعد قوله: بكاء الكبير حملٌ للكلام على المعنى، وذاك أنَّ الكبير لمَّا كان المتكلِّمَ في

المعنى، حمل سؤالي عليه، ألا ترى أنَّ: ما بكاءُ الكبيرِ إنَّما هو: ما بكائي وأنا كبيرٌ! وبكاءُ الكبير بالأطلال، ممَّا لا يليقُ به، لأنه اهتياجٌ لصباً أو تصابٍ، وذلك ممّا لا يليقُ بالكبير"[43]. وإنّما أراد بهذا الاستفهام جذب انتباه المتلقّي وإثارة ذهنه إلى التفكّر فيما يأتي ليقف على الأطلال ووصف آثارها، ثمّ يدلف إلى وصف ممدوحه الأسود بن المنذر اللخميّ، وإكمال غرض القصيدة. ولعلّ كثيرًا من المعاني المتولّدة من الأساليب الإنشائيّة التي قد يلمحها المتلقّي لا تكون من لوازم المعنى، ومن هنا يأتي دور السياق الذي يعمّق المعنى في وجود القرائن.

3.3. النّداء

هو طلب المنادى بأحد حُروف النداء الثمانية، والنّحويُّون يُقدّرون في حرف النداء والمنادى جملةً مُقدّرة بالفعليّة؛ فقولك: يا زيد، بمنزلة: أدعو زيدًا[44]؛ فعندما تُنادي مُنادًى أنت تريد تنبيهه إلى أمرٍ مهمّ تستدعيه لأجله، وتحثُّه فيه إلى تلبيتك لجواب النّداء، وقد يكون المُراد بالنّداء ليس الإقبال أو التّلبية لجواب النّداء، وإنّما الخروج إلى مقاصد أخرى، قال صاحب الطراز في تعريف النّداء: هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك، وقد تخرج صيغة النداء إلى أن يكون المراد منها غير الإقبال[45]، أي أنّه قد يكون ذلك للتّنبيه إلى عظم الشيء المدعو إليه وعلوّ شأنه، أو الاستغراب والتّوجُّع والتعجُّب لِما طرأ عليه من تغييرات، وذلك نحو وقوف النّابغة الذبيانيّ أمام ديار محبوبته وندائها، واستغرابه من خلاء ديارها من أهلها وعدم جوابها له.

- معلقة النابغة الذبياني[46]

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ... أقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأمَدِ

وَقَفتُ فيها أَصِيلاً كَي أُسائِلَها ... عَيَّت جَوابًا وما بِالرَبعِ مِن أَحَدِ

إِلّا أَوارِيَّ لأياً ما أُبَيِّنُها ... وَالنُؤيُ كَالحَوضِ بِالمَظلومَةِ الجَلَدِ

رُدَّتْ عَلَيهِ أَقاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ... ضَربُ الوَليدَةِ بِالمِسحاةِ في الثَّأَدِ

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحبِسُهُ ... وَرَفَّعَتْهُ إِلى السَجفَينِ فَالنَّضَدِ

أَضْحَتْ خَلاءً وَأَضحى أَهلُها احتَمَلوا ... أَخْنَى عَلَيها الَّذي أَخنَى عَلى لُبَدِ

فَعَدِّ عمَّا تَرَى إِذْ لا ارتجاعَ لَهُ ... وانْمِ القُتُودَ على عَيْرانَةٍ أُجُدِ

بدأ النّابغة قصيدته بنداء دار ميّة؛ تعجُّبًا وتحسُّرًا على ما كان له فيها، فقال: (يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ): "توجُّعًا منه؛ لأنه كان معها، مقيمًا بها في سرور ونَعمة، زمنَ مُرتَبعهم، ثم انقضى ذلك؛ فجعل يخاطبها توجُّعًا منه لما رأى من تغيُّرها، وتذكُّرًا لما عَهِدَه منها"[47]. بيد أنّه لا جواب لندائه إلا ما خفي من آثار هذه الديار، وآلتْ تلك الدّار خاليةً من أهلها، وأفسد عليها الدهر ما أفسد على لُبَد وهرَّمَه وأفناه، وجعلَها أَثَرةً بعد عين[48]. ثمّ يلجأ النّابغة في البيت السابع من هذا المطلع إلى فعلَي الأمر (فَعَدِّ) و(انْمِ) لينتقل من الوقوف على الأطلال والحسرة إلى رحلة النّاقة ووصفها ثم يصل إلى ممدوحه ويعتذر له، (فَعَدِّ): أي جُزْهُ، وانصرف عنه إذا كان لا رجوع له[49]، وهنا يظهر حرص الذبياني على الإتيان بأسلوب الأمر بعد الاستفهام لحرصه على جذب انتباه السامع وشحذ تركيزه وإثارة خياله للوصول إلى غرضه من هذه القصيدة البديعة.

- خاتمة

ركّزت الدّراسة على قراءة مطالع قصائد المعلّقات ورصدت الأساليب الإنشائيّة فيها، ورأتْ أنّ جُلّ هذه القصائد تبدأ بالأساليب الإنشائيّة الطلبيّة، وغالبا ما كان أسلوب الأمر وأسلوب الاستفهام، وسَعَتْ إلى إيجاد بعض التّفاسير التي تكمُن وراء ذلك؛ فكأنّ هؤلاء الشعراء لديهم شعور فطريّ بأنّ أسلوب الإنشاء هو الّذي يشدّ القارئ ويثير فكرَه ووجدانه، لأنّ هذا الأسلوب يتطلّب تنبُّه السامع/ المُتلقّي وجذب انتباهه، ممّا يدلّ على العبقريّة الفِطريّة عند هؤلاء الشعراء في سلوكهم هذا المسلك، ولجوء أكثرهم إلى هذا الاستعمال. ويبدو أنّهم رأوا أنّ مثل هذه الأساليب تساعد في إيصال الشّعر، وتُشجّع الرُّواة على تبليغه ونَشْره بين النّاس، وهي غاية رئيسة لديهم. وقد توزّعت هذه المطالع على النّحو الآتي:

1. أسلوب الأمر: بدأت به معلّقة امرئ القيس بن حجر الكنديّ، وعمرو بن كلثوم التّغلبيّ، والأعشى الكبير بإحدى قصائده، والنّابغة الذّبيانيّ.
2. أسلوب الاستفهام: بدأت به معلّقة زهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شدّاد، والأعشى بقصيدته الأخرى.
3. أسلوب النّداء: تفرّدت به معلّقة النّابغة الذبيانيّ.

وحصيلة ذلك أنّ عدد القصائد التي بدأت بأسلوب إنشائيّ -مع الأخذ بتعدُّد الرّوايات- بلغت ثماني قصائد، وفي المقابل نجد القصائد التي بدأت بأسلوب خبريّ لا تبلغ نصف هذا العدد؛ إذ إنّها لا تعدو ثلاث قصائد وهي لـ: طرفة بن العبد، والحارث بن حلّزة، ولبيد بن ربيعة، وهذه كلّها قصائد عالية بلغت الذروة في الشعر العربي، ولا تقلّل الدّراسة من أهميّة الأسلوب الخبريّ، بل تدعو إلى دراسته وتسليط الضوء عليه في القصائد الأخرى.

وصلت الدّراسة إلى جُملة من النتائج، وهي:

- أهميّة قصائد المعلّقات وأوّليتها بين عيون الشعر العربيّ، إضافة إلى أنّها تعكس حياة العرب آنذاك، وتُلقي الضّوء على أيّامهم وعاداتهم وحروبهم وتقاليدهم في ذلك العصر، كما أنّها تُمثّل الشكل الفنّي للقصيدة الجاهليّة.

- كثرة أسماء قصائد المعلّقات وتعدُّد ألقابها؛ لأنّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المُسمّى، ويعود ذلك أيضًا لمكانتها الكبيرة فيما بينهم، ولعنايتهم الشديدة بها حفظًا وإلقاءً وشرحًا ونقدًا.

- اختلاف المُصنّفين في قصائد المعلّقات وذلك في بعض شعرائها، وتفضيلهم لبعضهم على الآخر، وفي تقديم قصيدة على أخرى أحيانًا؛ نحو تقديم أبي زيد القرشيّ للنّابغة الذبيانيّ والأعشى، وإسقاطه للحارث بن حلّزة وعنترة، وجمعَ بين هؤلاء جميعًا التّبريزيّ والشّيباني فيما نُسِبَ إليه.

- النّتيجة السّابقة ترتَّبَ عليها زيادة مطالع قصائد المعلّقات في هذه الدّراسة، ولم تقتصر على القصائد السبعة التي وردت في شرح أبي بكر الأنباريّ؛ وذلك للإحاطة بهذه القصائد كلّها، وسعيًا إلى الإلمام بجميع القصائد التي بدأت بالأساليب الإنشائيّة الطلبيّة.

- جُلُّ قصائد المعلّقات يبدأ بأسلوب إنشائيّ طلبيّ؛ إذ إنّ القصائد التي بدأت بأسلوب الأمر بلغت أربع قصائد، ويليه في ذلك الاستفهام فقد بدأت ثلاث قصائد به، وأما النّداء فقد تفرَّد بقصيدة واحدة.

- نَباهة شعراء المعلّقات الواضحة في طرقهم لباب الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة غالبًا في مطالع معلّقاتهم؛ وذلك لأهميّة الإنشاء الطّلبيّ في تنبُّه السامع/ المُتلقّي، وجذب انتباهه وإثارة خياله.

- لأسلوب الأمر أثره في المتلقّي؛ إذ إنّه يحثّه إلى المُبادرة والاستجابة لهذا الطلب أو ذاك، ويخرج فعل الأمر إلى معان جديدة وأغراض بلاغيّة أخرى بحسب سياق الكلام ومقاصده.

- غنى اللغة العربيّة بتنوُّع أساليبها وتعدُّد تراكيبها وغِنى مُفرداتها، وأثر ذلك في الكلام نحوًا وبلاغةً.

- كثيرٌ من المعاني المتولّدة من الأساليب الإنشائيّة التي قد يلمحها المتلقّي لا يكون من لوازم المعنى، ومن هنا يأتي دور السياق ومُقتضى الحال اللذين يُعمّقان المعنى ويُوسّعانه وفق وجود القرائن.

- بلاغة الأسلوب الإنشائيّ وبيان مدى العذوبة والسلاسة والتأثير التي تتيحها هذه الأساليب، وانسجامها مع بيئة الشعر نفسه، وتناغُمها مع حالة الشاعر الشعوريّة والنفسيّة.

- لجوء الشاعر إلى أسلوب الطلب قد يكون مردّه إلى أنّ الشاعر صوت القبيلة، فيرى نفسه أنّه حقيقٌ بأن يُسمع عندما يطلب وأن يُجاب عندما يسأل، ولعلّ فيه ربط المطلع وغرض القصيدة بالوحدة النّفسيّة للشّاعر.

- الأسلوب الإنشائيّ أكثر استيعابًا للمشاعر والانفعالات وأعمق تأثيرًا في المُتلقّي.

- الإحالات والهوامش

[1] سُمِّيَتْ معلقات لأنّها كُتبت بماء الذهب وعلّقت على أستار الكعبة.

[2] سُمِّيَتْ بالسّموط تشبيهًا لها بالقلائد والعقود.

[3] سُمِّيَتْ بالمذهّبات لأنّها كُتِبَتْ بماء الذهب.

[4] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، تح وتع: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط8، 2019، ص11.

[5] وهو ما أطلقَه ابنُ الأنباري عليها في كتابه: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات. وهو المصدر الذي اعتمدتُ عليه في قراءتي لهذه القصائد، وتخريج الأبيات الشعريّة منه.

[6] للأديب القاضي أبي عبد الله الزوزنيّ.

[7] لأبي جعفر النّحَّاس. وكذلك وجدت كتابًا يحمل عدد هذه القصائد مُعنونًا بـ (شرح المعلّقات التسع) مَنْسوبًا لأبي عمرو الشيبانيّ. غير أنّ أصابع النقد تشير إلى أنّه لا تصحّ نسبته إليه؛ وذلك لاحتوائه على آثار تشي بأنّه لمَن جاء بعده.

[8] وهو ما أطلقه عليها التّبريزيّ في كتابه (شرح القصائد العشر). وكذلك يوجد كتاب جمعَه أحدُ المتأخرين، بعنوان: (المعلقات العشر وأخبار شعرائها) اعتنى بجمعه وتصحيحه: الشيخ أحمد الأمين الشنقيطيّ.

[9] الزوزنيّ (حسين بن أحمد)، شرح المعلّقات السبع، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2002، ص14

[10] الخفاجيّ (أبو محمد عبد الله بن سنان)، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص49.

[11] حسني عبد الجليل يوسف، أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، مؤسسة المختار، القاهرة، ودار المعالم الثقافيّة، الأحساء، 2001م، ص169.

[12] الجرجانيّ (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة وجدّة، ط3، 1992م، ص117-118.

[13] محمد عبد المطّلب، البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط4، 2010م، ص351.

[14] القزويني (أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن الشافعيّ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط3، د.ت، ج3، ص52.

[15] عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2001م، ص14.

[16] ابن حجّة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004م، ج2، ص326. وَ: ابن الأثير (نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ج3، ص91.

[17] انظر معلّقته في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباريّ، ص15-111، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ص15-27. وهي في ديوانه بتحقيق محمد أبو الفضل ص8-39.

[18] ابن الأنباريّ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص16-17.

[19] الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص363.

[20] انظر هذا القول عند: أبي هلال العسكريّ (الحسن بن عبد الله بن سهل)، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت: لبنان، د.ت، ج1، ص275. وَ: ابن رشيق القيروانيّ (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، 1981م، ج1، ص218. وَ: الكنانيّ (أبي المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ)، البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مر: إبراهيم مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت، ص286.

[21] ومن وجوه إعرابها أيضًا: نصب (وقوفًا) على القطع، ومنه نصبها على الحال وتقديره عندئذ: قفا نبك في حال وقوف صحبي عليّ مطيّهم، ومنه نصبه على الوقت -أي الظرفية- وتقديره: وقت وقوف صحبي عليّ مطيّهم.

[22] ابن الأنباريّ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص24.

[23] وهب أحمد روميّة، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996م، ص226.

[24] انظر معلّقته في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباريّ، ص369-428، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ص371-375. وقصيدته هذه في ديوانه ص64-91.

[25] الفراهيديّ (الخليل بن أحمد)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م، ج3، ص356.

[26] ياقوت الحمويّ (أبو عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995، ج1، ص260.

[27] انظر معلّقته عند: أبي جعفر النحّاس (أحمد بن محمد)، شرح القصائد التسع المشهورات، تح: أحمد خطاب، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، العراق، 1973م، ج2، ص685-730، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ج2، ص685-690، وهي في ديوانه في ج1، ص203-223،

وَانظرها عند: أبي عمرو الشيبانيّ، شرح المعلقات التسع، تح وشر: عبد المجيد همّو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2001م، ص17-37، وَ: التّبريزيّ (أبي زكريا يحيى بن علي)، شرح القصائد العشر، تح وَضب وتع: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، د.ت، ص483-511. وقد اختُلفَ في معلّقة الأعشى؛ فمنهم من ذكرَ هذه القصيدة، ومنهم مَن ذهبَ إلى القصيدة التي تبدأ بالاستفهام (ما بكاءُ الكبير بالأطلال)، وكلا القصيدتين يبدأ بأحد أساليب الإنشاء الطلبيّ، ويدخل في موضوع هذا البحث.

[28] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، وَالدار الشامية، بيروت، 1996م، ج2، ص432.

[29] انظر معلّقته في جمهرة أشعار العرب، ص183-200، وَانظرها في: شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيبانيّ، ص83-98، وهي في ديوانه بتحقيق محمد أبو الفضل، ص202، وبتحقيق الدكتور شكري فيصل، ص233-239، بيد أنّها منحولة على ما ذكرَ المُحقّقان. ومُعلّقته اللاميّة المشهورة التي تبدأ بالنّداء (يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ) لإجماع جُلِّ مُصنّفي المُعلّقات وشارحيها عليها.

[30] ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي الإفريقيّ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، ج2، ص333.

[31] قال ذلك في تحقيقه ديوان النابغة الذبيانيّ، ص202.

[32] السكّاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، ضب وَتح وَتع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، ص303.

[33] انظر معلّقته في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص237-289، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ص237-244، وهي في ديوانه بشرح ثعلب، انظر: ثعلب (أبو العبّاس أحمد بن يحيى)، شرح شعر زهير ابن أبي سُلمى، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008م، ص16-37.

[34] حسني يوسف، أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، ص7.

[35] ابن دُريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزديّ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج3، ص1313.

[36] عبد الكريم الرحيوي، الشعر الجاهلي في ضوء الدرس اللغويّ الأسلوبي الحديث قراءة في شعر زهير، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2015م، ص191.

[37] انظر معلّقته في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص293-366، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ص294-300، وهي في ديوانه ص182-222.

[38] الزوزنيّ، شرح المعلقات السبع، ص245.

[39] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص296.

[40] أبو جعفر النّحَّاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ص256، وَ: الأزهريّ (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج3، ص162.

[41] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص297.

[42] انظر معلّقته في جمهرة أشعار العرب، ص202-235، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ص202-204، والقصيدة في ديوانه في ج1، ص97-125، والأبيات التي اقتبستها في ج1، ص97-100.

[43] أبو عليّ الفارسيّ (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، كتاب الشعر، تح وشر: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ص508.

[44] عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، ص136.

[45] يحيى بن حمزة العلويّ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، ج3، ص161.

[46] انظر معلّقته في شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحّاس، ج2، ص733-767، والأبيات التي اقتسبتُها منها تقع في ج2، ص733-740، وهي القصيدة الأولى في ديوانه، والأبياتُ في ص14-28، وهي في شرح القصائد العشر للتبريزيّ، ص512-534.

[47] قالَه المُحقّقُ محمد أبو الفضل، ديوان النابغة الذبيانيّ، ص14.

[48] محمد أبو الفضل، ديوان النابغة الذبيانيّ، ص15-16.

[49] أبو جعفر النّحَّاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ص741.

- قائمة المصادروالمراجع:

1. القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
2. ابن الأثير (نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، دون تاريخ، الجزء الثالث.
3. ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، 2019.
4. ابن حجّة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004م، الجزء الثاني.
5. ابن دُريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزديّ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، الجزء الثالث.
6. ابن رشيق القيروانيّ (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، 1981م، الجزء الأول.
7. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي الإفريقيّ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1994م، الجزء الثاني.
8. أبو جعفر النحّاس (أحمد بن محمد)، شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق: أحمد خطاب، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، العراق، 1973م، الجزء الثاني.
9. أبو عليّ الفارسيّ (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، كتاب الشعر، تحقيق وشرح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
10. أبو عمرو الشيبانيّ، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همّو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2001م.
11. أبو هلال العسكريّ (الحسن بن عبد الله بن سهل)، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت: لبنان، دون تاريخ، الجزء الأول.

12. الأزهريّ (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، الجزء الثالث.
13. الأعشى (ميمون بن قيس بن جَنْدل)، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمود إبراهيم الرضواني، إصدارات إدارة البحوث والدراسات الثقافيّة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2010م.
14. امرؤ القيس (بن حجر الكنديّ)، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، 2021م.
15. التّبريزيّ (أبي زكريا يحيى بن علي)، شرح القصائد العشر، حقّق أصوله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، دون تاريخ.
16. ثعلب (أبو العبّاس أحمد بن يحيى)، شرح شعر زهير ابن أبي سُلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، الطبعة الثالثة، 2008م.
17. الجرجانيّ (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة وجدّة، الطبعة الثالثة، 1992م.
18. حَبَنَّكَة (عبد الرحمن بن حسن)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، وَالدار الشامية، بيروت، 1996م، الجزء الثاني.
19. الخفاجيّ (أبو محمد عبد الله بن سنان)، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
20. الرحيوي (عبد الكريم)، الشعر الجاهلي في ضوء الدرس اللغويّ الأسلوبي الحديث قراءة في شعر زهير، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2015م.
21. روميّة (وهب أحمد)، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996م.

22. الزوزنيّ (حسين بن أحمد)، شرح المعلّقات السبع، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2002.
23. السكّاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
24. عبد المطّلب (محمد)، البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الرابعة، 2010م.
25. عمرو بن كلثوم (بن مالك)، ديوان عمرو بن كلثوم، جمعَه وحقّقه وشرحَه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م.
26. عنترة بن شدّاد (العبسيّ)، ديوان عنترة، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، جامعة القاهرة، مصر، 1964م.
27. الفراهيديّ (الخليل بن أحمد)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م، الجزء الثالث.
28. القزويني (أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن الشافعيّ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، الطبعة الثالثة، دون تاريخ، الجزء الثالث.
29. الكنانيّ (أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ)، البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، دون تاريخ.
30. النّابغة الذُّبيانيّ (زياد بن عمرو بن معاوية)، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق: شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.
31. النّابغة الذُّبيانيّ (زياد بن عمرو بن معاوية)، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

32. هارون (عبد السلام)، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001م.
33. ياقوت الحمويّ (أبو عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995، الجزء الأول.
34. يحيى بن حمزة العلويّ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، الجزء الثالث.
35. يوسف (حسني عبد الجليل)، أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، مؤسسة المختار، القاهرة، ودار المعالم الثقافيّة، الأحساء، 2001م.

جماليات البنية اللغوية في شعر هند المطيري

دراسة نصية في نماذج مختارة

The aesthetics of linguistic structure in the poetry Of Hind Al-Mutairi: A textual study in selected models

نوير سعيد عبود باجابر
جامعة أم القرى - السعودية
bajaber_n@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/05/30 - تاريخ القبول: 2024/06/11 - تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

شهدت الدراسات النقدية العربية في الثلث الأخير من القرن العشرين تطورا لافتا على الصعيدين النظري والتطبيقي، بفضل توظيف مناهج نقدية ولغوية غربية، أفاد استثمارها في انفتاح النقد الأدبي على مستويات نصية وزوايا جمالية لم تكن مكتشفة من قبل بسبب هيمنة النقد الانطباعي والقراءات التاريخية للنص الأدبي والنظرة التجزيئية للقصيدة. ولعل توظيف التحليل البنيوي للنص الشعري والنظر إلى القصيدة بوصفها كلا متكاملا من البنى والأغراض والدلالات أسهم في استكشاف جمالية القصيدة العربية. وانطلاقا من هذه الرؤية تسعى دراستنا إلى تحليل نص شعري عربي سعودي بوصفه مثالا للخطاب الأدبي من زاوية جمالية بنيوية عامة تركز على سماته الأسلوبية وملامح الانسجام النصي متعدد المستويات.

الكلمات المفتاحية: تحليل؛ النص الشعري؛ نقد انطباعي؛ انسجام؛ جمالية.

* المؤلف المراسل: **نوير سعيد عبود باجابر**

Abstract:

In the last third of the 20th century, Arab critical studies experienced remarkable development both at the theoretical and applied level, thanks to the use of Western critical and linguistic approaches, which benefited from their investment in the opening of criticism. Literary at textual levels and aesthetic angles that had not been discovered before, due to the predominance of impressionist criticism and historical readings of the literary text and the partial vision of the poem. Perhaps the use of structural analysis of the poetic text and the examination of the poem as an integrated set of structures, purposes and connotations helped to explore the aesthetics of the Arabic poem. Based on this vision, our study seeks to analyze a Saudi poetic text as an example of literary discourse from a general aesthetic and structural perspective, which focuses on its stylistic characteristics and its multi-level textual coherence characteristics.

Keywords: analysis; poetic text; impressionistic criticism; coherence; aesthetic.

- مقدمة

تنطلق هذه الدراسة من مقدمات نظرية ومنهجية تقترها مناهج تحليل النصوص المعاصرة، خصوصا تلك التي تسلك مسلك التحليل البنيوي في مقارباته الشكلية والوظيفية، مبتغية الكشف عن محددات الوظيفة الشعرية التي تحققها البنى الصوتية والصرفية التركيبية والدلالية، وباختيارات أسلوبية معينة تنشئها الذات الشاعرة لتحقق بها الغاية الجمالية للأدب من جهة، وتتخذها وسيلة تعبيرية ذات طاقة إيحائية ورمزية من جهة أخرى؛ فالنص الشعري في المنظور المعاصر لتحليل الخطاب نسق من البنى والدلالات الفاعلة جماليا وفكريا، يعكس وجهة نظر الأديب، ويعطي السلطة للغة لتمارس فعلها التأثيري على المتلقي والقارئ[1]، ومن المفترض أن تتوجه القراءة النقدية بوصفها فعلا تأويليا يعيد إنتاج الدلالة النصية نحو البنية اللغوية للنص فتحلل مكوناته العلامية وعلاقاته النسقية، وتجاوز مستوى الدلالة الجملية إلى مستوى أرحب يمثله الخطاب في شموليته[2]، لتكشف عن وحدته الموضوعية والعضوية بوصف أدوات الاتساق وتفسيرها، ووسائل الانسجام العاملة لتحقق نصية النص وجمالياته[3]، ونظرا إلى أهمية الشعر في الإبداع الأدبي وتوجيه الحركة الثقافية عموما فإنّ هذه الدراسة اختارت الانخراط في سياق تحليل أنموذج شعري سعودي معاصر، يمكن أن يكشف عن بعض خصائص الكتابة الشعرية السعودية شكليا وموضوعيا وفنيا من جهة، ويبين على صعيد آخر أهم سمات الكتابة الشعرية في الأدب النسوي، خصوصا أن المدونة المختارة من إنجاز إحدى الشاعرات السعوديات اللائي تركن بصمة في الحراك الأدبي المحلي، وتعدت جذوتها لتكون صوتا أدبيا فاعلا في المحافل والأندية العربية؛ فقد شاركت الشاعرة بمعية نخبة من المبدعات السعوديات في إثراء الكتابة الإبداعية النسائية العربية بما قدمت من رؤى تعكس وجهة نظر الأدب السعودي في قضايا الذات والمجتمع والعالم[4]، وتبعا لذلك وقع اختيارنا على مدونة الشاعرة السعودية هند المطيري[5] في مجموعتها الشعرية "هند أنثى بروح المطر"، وتركيز التحليل على قصيدة نموذجية.

لعلّ من أهم الأسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضوع انعدام الدراسات الأدبية التي تعنى بتحليل النص الشعري المنجز من الشاعرة، بالرغم من الشهرة التي

حظيت بها في مناسبات ثقافية عديدة محليا وعربيا، باستثناء بعض المقالات الصحفية القليلة المنشورة في بعض الصحف المحلية، وأغلبها مقالات استعراضية لا تفي بالحاجة العلمية المطلوبة. وحاصل الأمر أن تتولى المؤسسات الأكاديمية مهمّة توجيه الباحثين إلى إجراء دراسات نقدية في الإبداع الشعري السعودي[6] بغية تجديد حركة النقد الأدبي واستمراريتها، وتنزيل الكتابة الأدبية، خصوصا النسائية منها، منزلتها الأدبية في الحراك الأدبي العربي والعالمي بوسيط الترجمة. وبالرغم من وجود محاولات ركزت في الغالب على الكتابة السردية، فإنها لا تفي بالغرض المنشود في نظرنا، لذا لزمت الدعوة إلى توسيع مسالك النقد في المنجز الشعري السعودي، وتتبع حركته بتحليل قوالبه الفنية مع الاستعانة بالمقاربات النقدية الحديثة التي ترشحها لنا الدراسات الثقافية والنقدية ومناهج تحليل الخطاب.

والحق أننا ارتأينا في سياق هذا المسعى اختيار نص شعري أنموذجي ليكون عينة تحليلية نسلط عليها بعض أدوات التحليل اللغوي بهدف وصف نظام اللغة الشعرية، وإبراز سماتها الفنية في مستوى التركيب والمعجم والأسلوب، ناهيك عن الكيفية التي يحقق بها النص نصيته في مستوى الاتساق والانسجام، وليكون هذا البحث مجرد موجّه ومثير لغيره من الدراسات التي ستعنى مستقبلا بإبداع هذه الشاعرة وخطابها المتميز فنيا وموضوعيا.

يمكننا الزعم في اطمئنان أنّ الدراسة ستتبع المنهج الوصفي تحليلا وتركيبا، منطلقين من المقاربة النصية الجامعة[7]، حيث نتوخى استكشاف أنساق الخطاب التي تضمر الخلفيات الثقافية والقناعات في سياق الربط بين البنى والوظائف والأغراض اللغوية في توليفة نقدية واحدة لاستكشاف جماليات النص المختار، وسماته الأدبية المائزة[8] التي يبدو إمكان تعميمها على نصوص أخرى للشاعرة بجامع قرينة الحضور والتكرار، مع الإجابة عن أسئلة محورية لعل أهمها: ما أهم السمات اللغوية في البنية والدلالة التي تميز الكتابة الشعرية عند هند المطيري؟ وهل هناك ارتباط عضوي في مستوى الرؤية والبنية بين مجموعة القصائد التي تتشكل منها المجموعة الشعرية المختارة "هند أنثى بروح المطر"؟ وما أبرز الشواهد الدالة على سمات الحداثة الشعرية والتجديد في القول الشعري شكلا ومضمونا وإيقاعا؟ وغير ذلك من الأسئلة المرتبطة بخصوصيات الكتابة النسائية في السعودية، وهي أسئلة

تحتاج إلى تحليل موسع يستهدف مجمل النصوص تلافيا للاستقراء الناقص، فنص واحد أو نصان لا يكفيان لاستجلاء تلك القيم وفحص كفاءتها الإبداعية والجمالية، ومع ذلك فإننا مضطرون في هذا السياق إلى الاكتفاء بتحليل نموذج شعري واحد.

1. الإطار النظري للدراسة

يهدف النقد عموما إلى استكشاف جماليات النص الأدبي، وتحليل أبنيته الدالة اعتمادا على مقاييس أدبية معينة تستكشف بناء الأساليب والصور والأدوات التي يختارها المبدع لتحقيق التأثير الفني، والربط بين الوحدات المعجمية والتركيبية، سواء بإحصاء تلك الروابط النحوية وتصنيفها، أم بتحديد البنى الموضوعية الرئيسة التي تشير إلى نمو البنية الدلالية الكبرى واستمراريتها، أو ما نسميها عادة بالفكرة العامة التي يعبر عنها الخطاب الشعري بأنساق لغوية مشحونة دلاليا ورمزيا[9]، وتختلف منطلقات النقاد بحسب مرجعياتهم المدرسية، والمناهج التي يتوخونها لقراءة النصوص، وتمييز جيدها من الرديء منها. وهذه الأدوات العاملة في سطح النص هي المعول عليها لتحقيق الاتساق، مرحلةً أولى لتحقيق تماسكه النصي الذي يستكشف عبر قراءة شاعرية هدفها الدلالة العميقة، فتتجاوز القراءة الإسقاطية والشارحة المكتفية بالتفسير الظاهري للألفاظ[10]. وأما مراقبة حركتها الفاعلة عبر المسافة النصية فهي الوظيفة التي يضطلع بها المحلل الناقد، أو ما يعرف في النقد الحديث بالقارئ المثالي[11].

غير أن اتسام الملفوظات الأدبية بسمة النصية لا يتحقق إلا بتوافر جملة من العوامل المعنوية التي تعرف بوسائل الانسجام العاملة في مستوى البنية الدلالية. وباستكشافنا لهذه الوسائل اللغوية يمكننا أن نقرأ النصوص ونحكم على كفاءتها الأدبية، ناهيك عن تحقيقها لقواعد التماسك النصي، وعادة ما ينهض تحليل النصوص في هذا المستوى على تتبع أشكال الإحالة النصية كالضمائر والإشاريات بوصفها قرائن موجهة للخطاب ومحددة لأغراضه، بالإضافة إلى تتبع أنساق التكرار التام والناقص والشبيه به والاستبدال، والحذف بأنواعه، وأدوات الربط النحوي والمعجمي؛ فإن وظيفتها اللغوية الأساسية متصلة أساسا بالبناء الخارجي للنص[12].

وأما التماسك الداخلي فتضبطه جملة من القواعد والعلاقات المنطقية، كعلاقة العموم والخصوص، والنمو الموضوعي، والخطاطة، والبنية الدلالية الكبرى، والمعرفة الخلفية، وغيرها من الوسائل التي أوضحها أهل الاختصاص.

2. مصطلحات الدراسة

يجدر بنا في هذا المقام أن نضبط بعض المصطلحات التي اتخذت أدوات لتحليل نماذج من شعر هند المطيري، ومنها:

1.2. الإحالة

تُعد الإحالة من أهم وسائل تماسك النص وترابطه، وتأتي أهميتها في التعامل مع النصوص من وجود بعض العناصر اللغوية التي لا تكتفي بذاتها في دلالتها، مما يجعل من الضروري العودة إلى ما تشير إليه أو تحيل عليه من أجل تأويلها؛ فالإحالة وسيلة تربط النص أوله بآخره، وتحيل دلالاته اللغوية على مقامه الذي أنتج فيه، لذا يشترط فيها تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والمحال إليه[13]، وتنقسم الإحالة إلى قسمين رئيسين أحدهما يعرف بالإحالة المقامية، وهي تعمل خارج حدود النص فتعود على شيء أو ذات خارجه، ويتطلب تأويل المعنى بناء على إدراكنا لحيثيات هذه الذات وأحوالها، معولين في ذلك على جملة تجاربنا الشخصية ومعرفتنا بالعالم، وأما الإحالة النصية التي تعمل داخل النص فمناط وظيفتها قائم على توزيع العناصر الإحالية من ضمائر وأسماء إشارة وأسماء موصولة؛ فإما أن تكون إحالة قبلية أو إحالة بعدية، كما ميز الباحثون بين نوعين آخرين منها بناء على معيار الفصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه يتمثل إليه؛ فهناك الإحالة ذات المدى القريب التي تتحقق في مستوى الجملة الواحدة حيث تجمع بين العنصر الإحالي ومفسره، والإحالة ذات المدى البعيد التي تكون بين الجمل المتباعدة في فضاء النص، والإحالة في هذا النوع لا تتم في الجملة الأولى النصية[14].

2.2. الحذف

الحذف سمة لغوية كلية تشترك فيها اللغات كلها، إلا أنه في العربية أظهر وأكثر حضورًا لما عرفت به من ميل إلى الإيجاز؛ فالمتكلمون يميلون بطبيعتهم النفسية إلى الاختصار مقتصدين المجهود الكلامي، وتجنب المكرر من الكلام الذي يشعرون بأنه

زائد عن حاجات التبليغ والتبيين، معولين في الغالب على القرائن العقلية أو اللفظية و/أو الحالية[15]، والحذف في الاصطلاح هو استبعاد للعبارات السطحية التي يمكن لمستواها أن يقوم في الذهن، أو أن يوسّع أو يعدل بواسطة العبارات الناقصة[16].

ونجد في هذه التعريفات أهمية الدلالة، وهي شرط لحدوث الحذف دون إغفال لوظيفة المتلقي، فيكون عمله إكمال الفراغ المفترض باعتماد مدى وعي القارئ ومهاراته القرائية والاستنتاجية، فكلما كان هذا القارئ على مستوى عالٍ من الاطلاع كان أقدر على سدّ الفجوة، ومن ثم تحقيق سمة التماسك النصي. ويميل الشعراء خصوصا إلى الحذف في سياق بناء الصورة الأدبية، أو إقامة الوزن ليكون أداة لتصفية العبارة، وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها، ناهيك عن كونه وسيلة فعالة لبعث الفكر وتكثيف الدلالة، وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه ليقع السامع على المراد[17].

ويشير أبرز المراجع في مجال نحو النص إلى أن وسيلة الحذف النصي يمكن أن يسلك من لدن المبدع عبر أشكال عديدة منها الحذف في المركبات الاسمية والحذف في المركبات الفعلية، والحذف في شبه الجملة.

3.2. الوصل

أدوات الربط إنما تعبر عن معانٍ معينة تفترض وجود مكونات أخرى في الخطاب، فتستخدم بعض الكلمات والعبارات لتحدد ربطًا خاصًا بين الأجزاء المختلفة للنص ويطلق على مثل هذه الكلمات والعبارات روابط متنوعة يختلف توزيعها باختلاف لون الفن الكلامي الذي توظف فيه، فهناك روابط تظهر في الشعر أكثر من النثر، وأخرى تناسب السرد دون غيره من أجناس القول الأخرى[18]؛ ومعنى هذا أن النص الشعري عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيًّا، ولكي تدرك وحدةً متماسكةً تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص.

وللروابط أقسام بحسب وظيفتها[19]؛ فهناك الربط الإضافي حيث يربط الأشياء التي لها الحالة نفسها، ويتم بواسطة هذه الأدوات (و، أيضًا، كذلك، أو، أم)،

والاختيار من بين هذه الأدوات اختيار بلاغي؛ وتندرج ضمن هذا النوع من الوصل علاقات أخرى؛ مثل: التشابه الدلالي المحقق في الربط بين الجمل بتعبير بالمثل أو بأدوات ككاف التشبيه، وعلاقة الشرح؛ مثل: أعني، بكلمات أخرى، ما أقوله هو. وعلاقة التمثيل؛ مثل: على سبيل المثال، مثلًا، وعلاقة التخصيص؛ مثل: خاصة، على نحو خاص، وكذا الربط الاستدراكي الذي تكون فيه العلاقة بين الأشياء المتنافرة أو المتعارضة في عالم النص، وأدوات هذا النوع من الربط تتمثل في (لكن، مع ذلك، على الرغم من، في نفس الوقت). وأما الربط السببي فيعبر عنه بأدوات منها: (لهذا، بهذا، لذلك، لأن)، ويقع ضمن علاقة السبب الرئيسية علاقة خاصة؛ مثل: السبب والنتيجة، والشرط، وأدوات التعليل، كما يتحقق الربط الزمني من خلال التتابع الزمني أي التتابع في محتوى ما قيل، ويعبر عنه بالأداتين: ثم - بعد.

4.2. التكرار

هو إلحاح على جهة مهمة في العبارة، يعتني بها المبدع أكثر من عنايته بسواها، وهذا هو القانون الأول البسيط نلمسه كاملا في كل تكرار يخطر على البال[20]. وهذا يعني أن الكاتب سيلقي في ذهن القارئ إشارة بأهمية تلك العبارة بمجرد إعادتها وتكرارها. ويَعدُّ الزناد التكرار أداة من أدوات الإحالة، لذلك يشير إلى نوع منها يسميه الإحالة التكرارية [21]؛ فالتكرار على هذا إحالة قبلية، وله وظائف متعددة ينجزها عن طريق حضور عنصر معين بوصفه حدثا أو ذاتا من بداية النص إلى آخره، فيعمل هذا الحضور على الربط بين الأفكار والبنى ليجعل من تعالقها بموضوع واحد نسيجا متشابك الخيوط؛ فتكرار عنصر يحدد لنا القضية الأساسية في النص، ويؤكد استمرارية الذات الفاعلة، وهيمنتها على مسرح الخطاب الشعري. ويكون التكرار بصور مختلفة، فقد يحدث بإعادة العنصر المعجمي نفسه وهو التكرار التام، وقد يكون بواسطة الترادف أو شبه الترادف، وفيه يتم تكرار المعنى دون اللفظ بأكثر من كلمة.

5.2. الانسجام

الانسجام علاقة بينية نستكشفها داخليا بين البنى النصية المتضامنة. ولعل القارئ بوصفه شريكا للمؤلف هو المخول بأن يصف النصوص، ويفسر مقاييس انسجامها ومعايير ترابطها، أو أنها مجرد تتال جملي لا يؤسس لبنية نصية تفاعلية[22]. إنه معيار يختص بالاستمرارية المحققة في عالم النص عبر منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها[23]، وهذا الترابط المفهومي يتم عبر العلاقات بين المفاهيم وترابطهما، ومن أبرز علاقاته: السببية، والزمانية، والإبدالية، والمقارنة، والتضمن، وعلاقة الكل بالجزء، وعلاقة الجزء بالكل، والإجمال، والتفصيل.

كما تشير منظورات نقدية تتوخى مقاربة النصوص من زاوية نظريات تحليل الخطاب إلى مفاهيم مهمة يمكن استثمارها لقراءة النص الشعري مثل: مبدأ التشابه الذي يعتمد على ما يحصّله المتلقي من الخطابات السابقة، وما لها من أثر مهم في حصول الفهم والتأويل بالنسبة إلى نص الخطاب الذي يباشره؛ نظرًا إلى علاقة النص الراهن بخطابات سابقة تشبهه. فتراكم التجارب، واستخلاص الخصائص، والمميزات النوعية من الخطابات يقود القارئ إلى الفهم والتأويل بناء على المعطى النصي أمامه؛ ولكن بناء -أيضًا- على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة؛ أي: النظر إلى الخطاب الحالي مع خطابات سابقة تشبهه، ويحيلنا هذا المبدأ إلى استكشاف نماذج التناص التي أنشأها الخطاب الشعري عند هند المطيري سواء بالنظر إلى قصائد أخرى تضمنها ديوانها أو نصوصا لشعراء آخرين، حضرت رؤيتهم في منجزها. كما يحيل مفهوم التغريض إلى نقطة بداية قول ما، وله طرائق يتم بها؛ منها تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محال إليه، وتكرير جزء من اسمه، واستعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه، أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية محددة[24]، وكلها أنساق يسجل حضورها في مدونتنا.

6.2. المعرفة الخلفية

يسميها بعض الباحثين الإطارات المعرفية والمعرفة المسبقة، وهي كما يظهر من المصطلح تعني أن المتلقي حين يواجه خطابًا لا يواجهه خاوي الوفاض؛ وإنما يستعين بتجاربه القرائية السابقة، فيعتمد في معالجته للنص ما تراكم لديه من معارف لغوية وثقافية تجمعت لديه خلال فترات سابقة بوصفه قارئا مثاليا متمرسا يمكنه استكشاف الدلالات والمقاصد الثاوية خلف العبارات؛ فالمبدع بوصفه متكلما ينجز بالقول أفعالا ليست كلها للوصف والإخبار وتقرير الحقائق، كما أن مغزى الكلام عادة أو ما يعرف بمعنى المعنى لا يظهر بمجرد الظفر بالدلالة الحرفية للفظ أو الجملة؛ فثمة دائما منطقة معتمدة تختبئ وراءها الصور والمجازات والإيحاءات، ولكن محلل النص يختار من مخزونه الهائل في ذاكرته من المعلومات ما يناسب حاجته وأنساق النص التي بين يديه، وهذه المعلومات الخلفية التي نستدعيها هي التي نسميها إطارًا معرفيًّا[25].

3. الدراسة النصية التطبيقية

يمثل العنوان بوصفه عتبة نصية في الخطاب الشعري الحديث والمعاصر علامة لغوية وسيميائية فارقة[26]، وهو الأمر الذي جعل النقاد يولونه عناية بالغة بتحليل بنياته ودلالاته والمقاصد التي يشحن بها، خصوصا في بنيته الاختزالية التي تختصر الأحوال والوقائع والأزمنة[27]. وبدون أن نوغل في البعد السيميائي ومستوياته، وأساليب الدارسين في التحليل بناء على مقاربات متعددة.

يمكن الزعم بأن عنوان المجموعة الشعرية المختارة "هند أنثى بروح المطر" أضحى مكافئا موضوعيا، وعلامة بارزة لحوالي ست وتسعين قطعة شعرية، ننظر إليها بوصفها قصائد ونصوصا مختلفة من حيث الموضوع الفرعي، والطول والبناء الشكلي والعروضي؛ فهند الذات الشاعرة تحولت إلى أيقونة فاعلة ومفعول بها، فهي ليست مجرد كائن بشري بل هي أنثى تحيا بروح المطر، فتثمر حبا وحنانا وعطفا وحياة. وبالرغم من تعدد العناوين الفرعية التي تمثل غالبا موضوعات تلك

النصوص، فإنها مندمجة بشكل أو بآخر في هذه الصورة التي صيغت في جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، وشبه جملة متعلق بمحذوف صفة لا يتم تصور الخبر إلا بها، فهند ليست مجرد أنثى بل هي أنثى لا تكون ولا تحيا إلا بروح المطر، فقد غدت هند هذه رمزا لكل امرأة.

وأما الصورة المجازية روح المطر التي تحول فيها المطر إلى كائن بروح فتشي بدلالات الخصب والخضرة والخير والتفاؤل والإيجابية والحياة؛ فرمزية المطر عبر الثقافات تستقطر هذا المعنى المركب، إنها -إذن- أنثى لا تحيا إلاّ بروح نقية محبة للخير، ولعل اندماج العنوان مع صورة الغلاف المختار بعناية يحقق انسجاما بين البعد النفسي والصورة الأدبية المتماهية مع الصورة البصرية، فصورة المرأة بقسمات وجهها وعبراتها تتحول إلى أيقونة تختزل حالة الأنثى الحزينة المثقلة بالهموم ترقب عودة الغائب، غائب اختزل في صورة رجل ببدلة سوداء يسير في اتجاه معاكس يمسك مطارية بإحدى يديه، إنها صورة بصرية مركبة تشي بالغياب والانتظار المفعم بالأسى والحلم. فهذه اللوحة البانورامية لا تمثل في المستوى الاجتماعي الثقافي واقعا عينيا بقدر ما تعبر عن حلم بملاذ تتوق إليه الذات الشاعرة متماهية مع الحال الناطقة، وهو الأمر الذي ينزل المجموعة الشعرية منزلة السيرة الذاتية الشعرية، ذلك أن الشاعرة تكتب سيرتها ذاتها.

نحن -إذن- بإزاء خطاب شعري تبوح فيه الذات بمراحل تجربتها الشعورية[28]، وإحساسها بالفقد والضياع والخوف المفعم بالأمل، والتوق إلى لقاء الحبيب الغائب، فتعيد نسج ذكريات الماضي. ولهذا الغرض يحقق الخطاب الشعري نموه الموضوعي، منذ الانفتاح على لحظات الرذاذ المطري الذي عبر عنه عنوان القصيدة الأولى "رذاذ رذاذ رذاذ"، ثم يستمر في حيويته واضطرابه النفسي ما بين مدّ وجزر، وعبر تلافيف القصائد المختلفة التي تتكون منها المجموعة، حيث تمتزج فيها تجربة العشق الصوفي بتجربة الشاعر الجاهلي الذي يناجي الليل، فلا يجد نديما إلا أن يغرق في كأسه طلبا

للسلوى، وقد يصل العشق إلى حدّ النزف والهلاك وربما الفناء في ذات المحبوب، ثم لا عودة إلى الحياة إلا بترياق كليوبترا، ويظل الشوق ترياقا لكل داء.

لقد تحول العشق إلى علامة مهيمنة في خطاب الشاعرة، فلا تكاد وحدة مقطعية تخلو منه، فليس العشق أثرا لحالة نفسية، بل هو فعل تتشكل عبره الصور واللوحات الفنية المرسومة بتجربة الشاعرة.

إنَ هذه النصوص المختلفة في بناها الدلالية الصغرى تتضافر مشكلة بنية دلالية كبرى معادلها الموضوعي صورة الأنثى التي تصارع الأسى بالحلم والترقب. واستكشاف هذه الدلالة قائم على معرفة خلفية وتجربة موسوعية، تأخذ من كل فن بطرف، ففي هذا المقام يجتمع السرد والحوار والوصف والحجاج[29]، وتندغم الغنائية التي ينماز بها الشعر العربي بإيقاعه المضبوط بالوزن والقافية والروي الثابت مع البنية الدرامية التي يمتاز بها الشعر الملحمي.

فتجربة الذات العاشقة لا تختلف في صراعها مع الآخر عن صراع الملاحم في الشعر التراجيدي. ولا نكون مبالغين إذا زعمنا بأن الصورة الشعرية في هذه النصوص أشبه بلوحات فنية مرسومة بريشة فنان ساخر وساحر، بالرغم من جدية الموقف النفسي، ولنا أن نقف مع التشكيل الأدبي في نص "قهوة معالي الوزير" خصوصا في المقطع الشعري الثاني، وكذا المقطع الشعري الأول من نص "النصر حليف للأفضل".

إن استدعاء الأسطورة في نصوص هند المطيري أنموذج لحضور الأسطورة بوصفها رمزا في الشعر العربي الحديث[30]، وهذا الحضور يعبر عن التماهي مع النص الآخر في مستوى التجربة الشعورية، ومرجعيته الثقافية، وهو مستوى يمكن أن يعالج في ضوء سيمياء الثقافة.

ومن ناحية أخرى يمكن اتخاذ هذا الحضور دليلا يحاجج عن تجربة أدبية متفتحة على الآخر، لا ترى مانعا بالرغم من قيود الثقافة المحلية زمن إنتاج القول، ولعل في هذا الاستدعاء تحريرا للمبدأ الحواري وتحقيقا للمناصصة الشعرية[31].

لا يقيم الخطاب الشعري المعين حوارية مع النص القديم، بل يندمج في لحظته التاريخية قلبا وقالبا؛ ففي المستوى الموضوعي يتحول إلى أداة إعلامية تنجز سلسلة من أفعال الكلام الطلبية، ما بين دعوة ودعاء، وحث وطلب للنصرة، وانتصار للقضايا القومية. وفي المستوى الشكلي تستدعي كثيرا من البنى الشعرية.

في هذه المجموعة قوالب إيقاعية ميزت البنى الأسلوبية التي نجدها عند شعراء المقاومة خصوصا شعراء التفعيلة والشعر الحر، منتهجة طريقة أمل دنقل والبردوني وأحمد مطر ونزار قباني ونازك الملائكة ومحمود درويش، وغيرهم ممن شكل للشعرية العربية سردية ومنوالا خاصا. وليس أدل على ذلك من هذا الإيقاع المتوتر الذي تنسجه القافية بوصفها عاملا صوتيا دلاليا[32]، بهذه اللوحة المنجزة لفعل التحريض على المواجهة:

[أيها الحقد الذي قد دمر الشرق وأتعسْ
أيها الغزو الذي يأتي على كل مقدسْ
أين أحبار اليهود؟
أين رهبان النصارى؟
أين أهل الحق فينا؟
هل غدا العالم أخرس]

فما أشبه هذا الإيقاع بإيقاع المقطع الشعري الآتي:

(يا أيها الملك الذي لمعالم الصلبان نكس
جاءتك ظلامة تشكو من البيت المقدس
كل المساجد طهرت وأنا على شرفي أنجس)

لعلّ حضور الدهر علامةً على الفاعل الحقيقي من وجهة نظر السيميائيين تذكرنا بإسناد الجاهليين الأحوال السيئة إليه[33]؛ إذ هو فاعلها والمتصرف فيها. وأما في العقيدة الإسلامية، فما للدهر من فعل، وإنما هو كغيره من المخلوقات معمول فيه. ولعل ما يفهم من الأثر النبوي "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" ينسجم مع

هذه القيمة التي حاول الخطاب الشعري المعين توظيفها، لكن للشعر أسلوبه وطريقته في التصوير الفني لا تمثل الحقيقة والعقائد كما يؤمن بها أصحابها:

لله حظي لستُ الدهرَ أحمدُهُ إذْ ليس يُحمدُ حظٌ فيكَ ينعدمُ

هذا ويمثل البيت الأخير قفلا لهذه اللوحة الفنية التي لا تخلو من حركة سردية تنبني على عودة الروح إلى صاحبتها باستشعارها للأمان، ووصولها إلى حالة من إرضاء الذات، وهي أولى مراحل الاستقرار النفسي التي سيبحث عنها الإنسان للشعور بالأمان والطمأنينة:

فلستُ أندمُ ما دامت مشاعرنا دليلنا، فلماذا الحزن والندمُ؟

إذن لا حزن ولا ندم بعد اليوم.

في مستوى الصورة الشعرية العامة يمكن الزعم بأن النص يتكون من تضامّ منسجم من الصور الفنية المركبة، فهناك عبارات تشكل صورة سمعية، وأخرى تشكل صورة بصرية وأخرى ذوقية، ناهيك عن الصورة القلبية الجامعة، ولعلنا نمثل لهذه الصورة المشكلة لغويا بـ:

كنت أبصر وجهي في ملامحه كأنني لوحة في الوجه ترتسم

فهذه ملامح "صورة بصرية"

ما نالني غير أني قد كلفت بكم فصرنا علكا على الأفواه يستلم

وهذه "صورة ذوقية"

إني أناجيك يا من قلبه شبم والقلب مني بنار الوجد يضطرم

وهذه "صورة قلبية"

ولعل ما يؤكد حضور ملامح التجربة الصوفية في هذا النص خلوه من تشكيل الصور الغزلية الحسية التقليدية التي تستدعي الجسد واللذة العينية، فتجعل من الوصل قيمة روحية وإنسانية نبيلة تسمو على العالم الأرضي ونزواته، بالإغراق في وصف تجربة العشق المثالي الذي يدنو من عشق رابعة والحلاج، وهو الأمر الذي زاد

التعبير الشعري تجرداً ومثالية، وانسجاما مع نصوص مماثلة لا نقرأها إلا في نصوص المتنبي والبوصيري وطاهر زمخشري، إنها ملامح الشعر الصوفي[34] تتجلى من جديد في حلّة قشيبة ولفظ فصيح، وصور مليئة بالأسى والحنين والعذل.

وضمن ثالوث سيميائي أطرافه "الفاعل/ القابل/ الأثر" يمكن أن نقرأ هذا النص المعبر عن دفقة شعورية واحدة تؤسس لنص محكم النسج، متماسك البنيان؛ فالفاعل هو الدهر، والقابل هي الذات الشاعرة، والأثر هو الفراق والألم؛ وأما المحبوب فهو الحاضر الغائب، وهو القوة المحركة والمنشئة لموضوع القصيدة، والطرف المسؤول عن دينامية النص الشعري.

إنّ تمركز الخطاب حول الذات[35] (ما نالني، غير أنين أنني قد بذلت... ولو حلفتُ) لدليل على أن الحبيب والمحبوب كلاهما ضحية لظروف الدهر، وإنْ بدا الأمر على غير ذلك في ظاهر القول.

في مستوى مصاحب يُظهِر استقراء الوحدات المعجمية هيمنة للوحدات الدالة على الحالة النفسية، ولو استثمرنا في هذا السياق نظرية الحقول الدلالية لوصف المعجم الشعري لألفينا هيمنة لحقل الألفاظ الدالة على موضوع النفس وأحوالها أكثر الحقول بروزا. ولنا أن نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر ألفاظا مثل: (الوصل - الودّ - القسوة - الخيانة - الابتسام - الكلف - الدنو - البعد – الغرام)، وغيرها من الوحدات المعجمية التي تندرج وفق علاقات التضاد أو الترادف خصوصا ضمن حقل ألفاظ الحب مثل: (وجد - غرام - كلف - وصل - هوى - خليل - زهد - ندم... إلخ)، وهي إلى جوار ذلك ألفاظ يتشكل منها معجم الشعراء الصوفيين؛ لذا ليس بدعا أن نزعم بأن لهذا النص مَثَلٌ لاستدعاء المعاني الشعرية المفعمة بعشق المتصوفة[36]، بل إنّ دلالات الفناء في الذات والذوبان فيها أشبه بصورة العشق الالهي عند رموز المتصوفة.

ولعلنا نلتمس هذا المعنى في البيت السادس عشر من نصنا المقترح الذي يمكن عده قفلا بمعية ما يليه للنص وللحالة "إني زهدت بحب لا قرار له"، و"لما استوت عندك الأنوار والظلم"، ومن ناحية أخرى لعلها فلتة من فلتات مراتب العشق من طوق الحمامة لابن حزم، تسربت بلا رقيب إلى هذا النص؛ فجعلت الذات الشاعرة

تعبر عن آلامها المتنقلة من حال إلى أخرى "جوى - عشق - كلف - نور - بعاد – غرام..." ويحضر الحلاج أيضا - شئنا أم أبينا - في البيت السادس حيث يفضح النص منشئه:

وكنت أبصر وجهي في ملامحه كأنني لوحة في الوجه ترتسم

فصورة الانعكاس التي يندغم الحسي فيها مع المجرد قريبة من صورة تجلي الآخر في الذات بحلول أحدهما في الآخر، فكأنه هي وكأنها هو، روحان حللنا بدنا، كما نلاحظ تناصا بين مطلع النص الشعري المختار مع نص أبي فراس الحمداني:

أراكَ عصيَ الدمعِ شيمتُكَ الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ

في بنية الاستفهام المتجه إلى الذات المخاطبة، حيث تثني الذات الشاعرة بعد التعبير عن فعل المناجاة والإقرار بها في قوله "إني أناجيك يا من قلبه شبم"، حيث اختير هذا المركب التقريري عنوانا وصدرا للبيت الأول الذي يمثل مقدمة للنص ومطلعا له، ولعل في هذا الاختيار المائز مظهرا جماليا ذا دلالة رمزية على أكثر من صعيد، فقد درج واضعو العناوين على اختيار المركبات الوصفية المختصرة، بينما اختار النص هنا مركبا اسميا لجملة منسوخة تتكون من: إنّ ومعموليها (اسمها ضمير متصل) وخبرها جملة فعلية (ف+فا+م ب) مقترنة بجملة نداء واسم موصول منادى مع صلة موصول. ومن ناحية أخرى، فإن هذا الاستهلال الشعري البديع يستدعي قصيدة ذات قيمة أدبية راقية، وهي قصيدة أبي الطيب المتنبي، ومطلعها:

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

ولا يبدو أنّ النص الشعري المختار يقيم حوارا نصيا في مستوى المطلع والعنوان فقط بقرينة تركيب النداء وأسلوب التفجع، وقرينته لفظة "شبم" التي تشي بالبرودة مقابل الألم الذي يعانيه المحب، فكأني بالذات المناجية العاذلة تتوجه باللوم والعتاب قائلة: إني أناجيك يا ذا القلب البارد وقلبي يضطرم بنار الوجد، وهي الصورة نفسها التي عبر عنها المتنبي قائلا في مطلع البيت واحر قلباه، متوجعا ومتحسرا من شدة ما يعانيه، فقلبه لهب ونار من الحب والهوى.

إنّ القصيدة المعنية تتجاوز محتوى استدعاء مطلع قصيدة المتنبي إلى إقامة حوار نصي متعدد المستويات لجعل هذا نصا حديثا معارضا لنص قديم. وفي

أسلوب حواري أشبه بالمونولوج الدرامي[37] تناجي الذات الشاعرة ذاتًا أخرى حاضرة غائبة تسائلها سؤال لوم وعذل، وتبوح إليها بمكنون النفس المعذبة حنينًا وأشواقًا، تشكو إليها طول البعاد، وآلام الشوق على طريقة القدماء في نداء الأحبة والتعبير باللفظ عن مكنون النفس.

ولعل الشطر الأول الذي اتخذ في صورته المركبة عنوانًا للنص الشعري ما ينبئ عن تلك الحوارية التي تستدعي النص العربي القديم، لا بوصفه جسدًا وإنما بوصفه صورة ورؤية جمالية متعددة المستويات، فكأننا مع المتنبي في قصيدته (واحر قلباه)، الذي سوغ لهذه الحوارية التي تبدو فيها الذات المتكلمة منفعلة لا فاعلة، ويظهر فيها الآخر (المخاطب) فاعلا بعد أن كان منفعلا طالبا للوصل الانخراط في إعلاء قيمة المتكلم بدليل الضمير (أنا)، فمن مطلع البيت الأول يحضر الضمير أنا متصلا في: مالي-كأني-أكن- وصلي مباشرة، أو بحضور ياء النسبة.

إنّ وظيفة التضمين الذي نعده شكلا من أشكال استدعاء النص السابق يصوّر لدى القارئ مفهوما نصيا هو مبدأ التشابه عبر إقامة محاورة أدبية معه تشكيلا ودلالة، يدفع بالمتلقي القارئ إلى الدخول إلى عوالم عديدة ومنها عالم المتنبي الشعري، فيلتقي به مرة أخرى في ميمية تطلق العنان للذات، لتبث شكواها وأنينها الخافت أحيانا، والصاخب أحيانا أخرى على إيقاع بحر البسيط الذي تنسجم تفعيلتاه مع دلالة الحزن والتوتر والنجوى.

ومن جهة أخرى لا يخلو نغم القصيدة وإيقاعها المتسارع من انسجام صوتي[38]، يستدعي في ذهن المتلقي بردة البوصيري التي مطلعها:

أمنْ تذكّرِ جيرانٍ بذي سلمٍ مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

خصوصا في مستوى القافية وحرف الروي الميم المكسورة، بما ترمز إليه الميم - ذاك الصوت الشفوي الأغن- من دلالة الأسى والانكسار.

إنّ هذا التناص الصوتي الذي يبرز في مستوى البنية الإيقاعية يعد في نظرنا أداة أساسية من أدوات الربط النصي المحققة لانسجام القصيد ونصيته، وربطها بالحالة النفسية المتأزمة فكأن التجربة نفسها تعيد إنتاج ذاتها؛ فالنفس الإنسانية وتجربتها في الحب والعشق واحدة، مهما اختلف الزمان وابتعد بها المكان.

ننتقل الآن إلى مستوى آخر من مظاهر الترابط النصي تمثله أدوات الربط والعطف وكيفية توزيعها على المساحة النصية، ومن ثم كيفية توجيهها للربط بين وحدات النص ومقاطعه الرئيسة.

(الجدول): إحصاء أدوات الربط والعطف وكيفية توزيعها على المساحة النصية

الحرف	الكلمة	البيت	الشطر	المجموع
الواو	وتغتنم	الأول	الثاني	15 مرة
	وتقرضني	1	1	
	وما	3	2	
	وكنت	6	1	
	واليوم	7	1	
	وما عاد	7	2	
	وإنني	9	2	
	وأن	10	2	
	ويغدو وهو	10	2	
	ولو حلفت	12	1	
	ولو	12	1	
	أقسمت	14	2	
	ولا خصيم	15	2	
	وأنت	15	2	
	الخصم			
	وأنت			
	الحكم			
الفاء	فما للود	2	2	6 مرات
	فصرت	8	2	
	فليس	10	2	
	فأغدو	14	2	
	فلست	17	1	
	فلماذا	17	2	

حتى	حتى صار حتى تمنيت	4 9	2 2	2
كأن	كأني لم أكن كأني لوحة	1 6	1 2	2

والحق أن الاتساق النصي لم يتحقق في هذا النص بأدوات الربط المعهودة فقط بل أدت أدوات أخرى الوظيفة نفسها؛ حيث نسجل حضورا لافتا للإحالة الضميرية بتوظيف ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، مع غلبة واضحة لضميري المتكلم والمخاطب، ناهيك عن الإحالة الإشارية والموصولية. ونلاحظ الانتقال السريع والمفاجئ من حديث الذات إلى الحديث مع الآخر بالانتقال من إسناد الفعل والحال إلى ضمير الرفع المتحرك أنا منفصلا أو متصلا (مالي-كأني-وصلي-تبرمت) إلى آخر وحدات النص إلى الإسناد إلى ضمير المخاطب (أراك-كنت-بكم-ذاك)، ثم يتجه الخطاب إلى الغائب، وهنا يتحول المخاطب الحاضر الغائب إلى محرك للفعل الكلامي، ومتحكم في الحالة النفسية، وتحولها من سعادة إلى ألم، ومن راحة إلى غم.

ولعل هذا الانتقال ما بين عالمي الحضور والغياب تجسده ثنائيات كثيرة تتربع على كامل المساحة النصية مثل: (أصبحت - تحطمه)، (صار - ينهدم)، (كان - اليوم) مع ما تضفيه أداة النفي من دلالات الفقد والغياب والتحول المفاجئ:

واليوم لا أبصر الألحاظ محبرة كلا وما عاد من أهدابي القلم

وكنت أبصر وجهي في ملامحه كأني لوحة في الوجه ترتسم

إنّ الانتقال من حديث الذات إلى حديث الآخر الغائب الحاضر، وهو حديث المناجاة الدالة على قرب المتحادثين موسوم بالعنوان الرئيس الذي يمثل صدر أول بيت في النص (إني أناجيك يا من قلبه شبم).

تنكشف دلالة الوجد لتكرار الألفاظ المترادفة في المعنى العام مثل: (الوصل-الود-القسوة-التبرم-الذنب-الصد)، وتكون معها دلالة النفي التي تشي بمعاني الوحدة والاغتراب والأسى (لا لست ذاك الفتى يا سيدي أبدا)؛ إنه نفي يفيد التأكيد المطلق بقرينة (أبدا). ولعل النفي أنسب للدلالة على تغير الحال ما بين اليوم والأمس، فالعلاقة غير العلاقة، والوصل استحال هجرانا، والقرب أضحى بعدا، وقد

جسدت الصورة القائمة على المقابلة والمقارنة هذه الحال، ومنها كثير في المقطع الثالث.

إنّ دلالة تماهي الأنا مع موضوعها أشبه بحلول الروح في جسد آخر، أو عودة جديدة للروح بعد طول فراق إلى جسدها، فتغدو حية بعد ممات، فكأنها ترى نفسها فيه.

وكنت أبصر وجهي في ملامحه كأنني لوحة في الوجه ترتسم

فإذا هي هو؛ فلها ملامحه نفسها وله ملامحها نفسها إذا التقيا، فتصبح لوحة يرسمها فنان يبدع فيها أيما إبداع، وها هو الكلف يتحول إلى أذى ينال المحبوبة؛ فأصبح حديث حبها له على ألسنة العذال يلوكونه كالعلكة، ثم مآله إلى الرمي (التلفظ) وهذه أسوء حال، وإن كان المعذول لا يبالي، فهو مشغول بحب محبوبه عمن سواه.

يشكل الحذف أداة أخرى من أدوات التماسك النصي التي تعمل في مستوى تكثيف الدلالة النصية ناهيك عن وظيفة الربط الشكلي[39]، ويظهر عمله من مطلع القصيدة حيث تُسائل الذات عن سر نسيان المحبوب وتجاهله لها بالرغم مما كان بينهما من طول ود وصفاء، حال تصل إلى حال القلب المضطرم وجدا اضطرام النار في غلوائها، فتسائله قائلة: مالي أراك (نسيتني) وهو الفعل المحذوف هنا بدلالة سياق القول اللاحق كأني لم أكن أبدا، ويندرج هذا النوع فيما يعرف عند علماء اللسانيات النصية بالحذف الجملي، ومن نماذج الحذف أيضا في البيت الخامس (لا لست ذاك الفتى يا سيدي أبدا)؛ حيث حذفت الجملة الموصولة بين جملتي النفي والنداء والتقدير (الذي كنت أعرفه) بقرينة السياق في الشطر الثاني (ذاك الفتى كان في لقياي يبتسم).

في البيت الثامن يتكرر السؤال المحير ضمنيا في جملة الاستثناء المنفي (ما نالني غير أني قد كلفت بكم) فما نال الذات وما أصابها من أسى ونكران وهجر إلاّ بسبب كلفها بمحبوبها وتعلقها به أيما تعلق حتى صارت بقرينة الاستعارة التصريحية علكا تستلم الأفواه؛ فالحال على كل لسان تلاك ثم تلفظ، وهي حال لا تسر عدوا "فصرت علكا".

ومن الحذف -أيضا- المقسم به في البيت الثاني عشر (ولو حلفت ولو أقسمت أفطمه)؛ فلا شك أيضا أن المحذوف المقسم به في الحلف والقسم المحذوف، وتقديره بدلالة السياق الحالي الذي يستدعي شخصية الشاعرة، وهي شخصية المسلم صحيح العقيدة الذي لا يحلف إلاّ بالله تصريحا أو تضمينا، وبقرائن اللفظ الأخرى حيث يشير المعجم الشعري إلى الوحدات المعجمية "لفظ الجلالة" في "لله حظي" في البيت الثالث عشر.

كما حذف المبتدأ بدلالة سياق الجملة السابقة في عجز البيت السابع عشر لإقامة الوزن وتكثيف الدلالة:

لا أنت خل خليل أستجير به ولا خصيم (أنت) فأغدو فيه أختصم

ناهيك عن حذف المستجار منه في آخر الشطر الأول والتعويل على القارئ ليملأ الفراغ الدلالي بما يترتب عليه من معانٍ هامشية، فلو كان المحبوب خليلا جديرا بأن يستجار به لاستجار المجار به من ظلم الآخر فهو الفاعل الضمني في هذه الحالة، ولكن أنّى للذات أن تستجير به، وهو المتهم بهجرها ونكرانها؛ إنها دلالة المفارقة وغدر الدهر الذي لا تؤتمن بوائقه، فالدهر لدى طائفة من الشعراء هو الفاعل الحقيقي لكل ما يحل بهم من مآس، بينما تمثل ذواتهم القابل والأثر، وهي الحالة النفسية التي عبر عنها البيت الثاني عشر الذي استدعى نص المتنبي على سبيل التضمين والاقتباس، الأمر الذي يحقق خصيصة المناصصة بين القديم والحديث والسابق و اللاحق.

تمثل الأبيات الأربعة الأخيرة لوحة فنية جميلة مرسومة بريشة فنان ذي أنامل مفعمة بالحس المرهف، إنها لوحة بديعة تضطرم فيها دلالة المفارقة[40] والثنائيات الضدية المكثفة ببديع المقابلة من غير صنعة وتكلف، وضمن دائرة التكرار الناقص الذي يصطنعه الجناس تظهر الثنائيات (خل - خليل) و(خصيم - اختصم) و(الخصام - الخصم) و(أندم - الندم)، والتضاد (الخصم - الحكم) و(الأنوار - الظلم)، مع ما يحمله البيت بطرفيه من المقابلة الدلالية الضمنية بين العدل والظلم؛ فقد صرح بالدلالة الأولى بقرينة لفظية هي (أعدل)، وصمت عن دلالة الجور (الظلم)؛ ليدل عليها الاستثناء "إلاّ في معاملتي"، فما يكون من سوء المعاملة للذات التي ظلمها في مقابل العدل مع الآخرين.

إنّه مقطع ينتهي بروي ساكن، يتماهى سكونه مع حالة انقطاع النفس وحالة الأسى التي تستدعيها.

- خاتمة

بعد هذه القراءة في أنموذج شعري واحد يشكل في تعالقه النصي الخطاب الشعري لدى الشاعرة السعودية هند بنت مطلق المطيري، تبين لنا انخراط تشكيلها الأدبي في سياق الحداثة الشعرية التي عرفها الإبداع الأدبي في النصف الأخير من القرن الحالي.

ولعل اقتراب النص المعين من حدود المقاييس الجمالية المتعارف عليها في مستوى البناء والصياغة والتصوير الفني يجعله مثالا للتدليل على شعرية الخطاب الأدبي عند الشاعرة، مما يصنع لها الفرادة والتميز في حركة المنجز الشعري المحلي والعربي. ولعل من شواهد ذلك توظيف المفارقة الدلالية لإظهار دلالة الحضور والغياب، والبعد والقرب وشعرية الحلم، واستدعاء للأسطورة وتكثيف للدلالة الرمزية على سبيل المناصصة مع النص الغائب، والمزاوجة بين الإيقاع القديم والموسيقى الداخلية للشعر الحديث، مع جزالة في اللفظ، وثراء في المعجم ومواكبة لمستجدات العالم والحياة في مستوى الموضوعات.

لقد كشفت قراءة النص في سياق تلقي النصوص الموازية له في نطاق المجموعة الشعرية عن اتساع في الرؤية، وعمق في التجربة وثراء في اللغة الأدبية، وربما تكون هذه القراءة المختزلة دافعا لإجراء قراءات نقدية موسعة يوصي بها البحث، تستوعب منجز الشاعرة الأدبي شعرا ونثرا طلبا لإكمال الصورة، واستقصاء لمعالم التشكيل الشعري في خطابها الأدبي.

- الإحالات والهوامش:

[1] أحمد يوسف، النظرية السيميائية من العلامة إلى الخطاب، منشورات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع للدراسات اللغوية وآدابها (41)، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، 2018، ص31.

[2] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج16، ع1، 1997، ص153.

[3] ختام سالم علي العكيلي، جماليات البناء اللغوي في الخطاب الشعري عند لميعة عباس عمارة، رسالة ماجستير، غ.م، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، 2016، ص7-14.

[4] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص37.

[5] هند عبد الرزاق هويل المطيري أكاديمية وشاعرة سعودية، ولدت بمدينة الطائف، وحصلت على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود. وقد بدأت كتابة الشعر في مرحلة مبكرة، التحقت بمهنة التعليم العام فترة ثم بالتدريس الجامعي.

تعد الشاعرة اليوم من أبرز الوجوه النسائية الفاعلة في الساحة الأدبية السعودية. لها مجموعات شعرية ودواوين عديدة في قضايا المرأة والقومية العربية وأبرز قصائدها في الغزليات، كما حصلت على جوائز أدبية عديدة، ولها مشاركات في فعاليات محلية وعربية، تعد من أبرز الأعضاء الفاعلين في النوادي الأدبية كنادي الرياض والقصيم وغيرهما. وأما مسيرتها الأكاديمية فمكللة بدراسات رصينة في دراسات اللغة والأدب على غرار رسالتها: "النفي في نقائض الفرزدق وجرير، دراسة أسلوبية". وأبرز أعمالها الإبداعية هي : "هند، أنثى بروح المطر" سنة (2010) ومجموعة قصصية عنوانها "أنوثة بنكهة الملح الأزرق" سنة (2010) و مجموعة شعرية بعنوان "الجوزاء" سنة (2016)، وغيرها من الأعمال الإبداعية. وتعد هند المطيري نفسها شاعرة الغزل الأولى في المملكة العربية السعودية. انظر تصريحها في: موقع جريدة الشرق الأوسط : https://aawsat.com/home/article/175406

[6] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص37.

[7] المقصود بالمقاربة النصية الجامعةِ الدراسةُ التي تؤلف بين مناويل تحليلية متعددة، من علوم اللغة والأسلوبية والنقد الأدبي البنيوي ونحو النص بما يضمن قراءة تأويلية توفق بين المعنى والمبنى ومقاصد صاحب النص، وأغراض الخطاب الشعري، وسماته الجمالية.

[8] أحمد يوسف، النظرية السيميائية من العلامة إلى الخطاب، ص247-250.

[9] توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط1، 1984، ص73-87.

[10] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، ط1، 2010، ص170-177.

[11] منذ بدايات القرن العشرين قدمت العلوم اللغوية نفسها بديلا منهجيا لتحليل النصوص الإبداعية، وأضحى النقد لغويا بالدرجة الأولى، فظهرت تبعا لذلك البنيوية في الأدب، متجاوزة اتجاهات النقد السياقي والتاريخي، وفي إطارها العام تبنى النقاد العرب مقاربات عديدة مثل: الشعرية والأسلوبية والسيميائية والنقد الاجتماعي، ثم المقاربات النصية والتداولية. ينظر: موريس أبو ناضر، الألسنية في النقد الأدبي في النظرية والممارسة، سلسلة العلوم الإنسانية، 1، الألسنية، د.ت.

[12] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص37.

[13] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط1، 1991، ص17.

[14] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2001، ص120.

[15] طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998، ص4، وَ: عزة محمد الشبل، علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص 169-175.

[16] ر. دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1998، ص301.

[17] محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1980، ص117.

[18] عزة محمد الشبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص110.

[19] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص23.

[20] نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، شذرات مكتبة النهضة، ط1، د.ت، ص242، وَ: عزة محمد الشبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص141-157.

[21] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص119. وَ: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص158.

[22] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص51. وَ: محمد مفتاح، التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2001، ص 158.

[23] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1989، ص141. وَ: عزة محمد الشبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 187-214.

[24] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص58.

[25] ج. براون، وج. يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1997، ص287.

[26] محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص21. وَ: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص223-225.

[27] نجاح حبيب، دراسة بنيوية تطبيقية، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان، ع19/18، 1982، ص214.

[28] شادية شقروش، سيمياء الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2010، ص10-21-124.

[29] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص58.

[30] أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة في الأدب العربي، ط1، كتاب الهلال، سلسلة الثقافة للجميع، مصر، 1983، ص10-40-172.

[31] الطاهر روابنية، النص الأدبي وشعرية المناصصة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع12، 1997، ص366. وَ: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص142-148.

[32] جمال الدين بن شيخ، الشعرية العربية: مقالة حول الخطاب النقدي، تر: مبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ، دار توبقال، المغرب، ط1، 1996، ص206.

[33] فايز تامر محمد، الموقف من الزمن في الشعر الواقعي: دراسة مقارنة بين صلاح عبد الصبور وفيليب لاركين"، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مصر، مج15، ع1، 2023، ص605-680.

[34] لخميس شرفي، الرمز الصوفي في شعر عبد الله العشي بين تنوع المصدر وعمق الدلالة، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، مج11، ع1، 2019، ص 256.

[35] لونجلي وجوليان وسرفاتي وجورج إليا، قاموس التداولية، 2020، ص267.

[36] إحسان يعقوب الديك، تجليات الخطاب الصوفي في شعر ريم حرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع20، 2010، ص212-213.

[37] قصي الحسين، شعر التجربة، المونولوج الدرامي في التراث الأدبي المعاصر لروبيرت لانغيوم، اطلالة سريعة على التجربة الأدبية المعاصرة في العالم الغربي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، ع3، 1988، ص156.

[38] نوارة بحري، نظرية الانسجام الصوتي وأثرها في بناء الشعر، دراسة وظيفية تطبيقية في قصيدة" والموت اضطرار، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010، ص1-20.

[39] دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص301، وَ: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص40.

[40] للتوسع في مفهوم المفارقة وتوظيفها الجمالي ينظر: لونجلي وجوليان وسرفاتي وجورج إليا، قاموس التداولية، ص185.

- قائمة المصادروالمراجع:

1. الأحمر (فيصل)، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، الطبعة الأولى، 2010.
2. أبو موسى (محمد)، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980.
3. أبو ناضر (موريس)، الألسنية في النقد الأدبي في النظرية والممارسة، سلسلة العلوم الإنسانية، 1، الألسنية، دون تاريخ.
4. بحري (نوارة)، نظرية الانسجام الصوتي وأثرها في بناء الشعر، دراسة وظيفية تطبيقية في قصيدة" والموت اضطرار، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010.
5. براون،ج.، ويول،ج.، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، 1997.
6. بن شيخ (جمال الدين)، الشعرية العربية: مقالة حول الخطاب النقدي، تر: مبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ، دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، 1996.
7. تامر محمد ()فايز، الموقف من الزمن في الشعر الواقعي: دراسة مقارنة بين صلاح عبد الصبور وفيليب لاركين"، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مصر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، 2023.
8. الجزار (محمد فكري)، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
9. حبيب، (نجاح)، دراسة بنيوية تطبيقية، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان، العدد الثامن عشر/ التاسع عشر، 1982.
10. الحجاجي (أحمد شمس الدين)، الأسطورة في الأدب العربي، الطبعة الأولى، كتاب الهلال، سلسلة الثقافة للجميع، مصر، 1983.
11. الحسين (قصي)، شعر التجربة، المونولوج الدرامي في التراث الأدبي المعاصر لروبيرت لانغيوم، اطلالة سريعة على التجربة الأدبية المعاصرة في العالم الغربي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، العدد الثالث، 1988.
12. حمودة (طاهر سليمان)، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998.
13. خطابي (محمد)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، الطبعة الأولى، 1991.

14. دي بو جراند ر.، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1998.
15. الديك (إحسان يعقوب)، تجليات الخطاب الصوفي في شعر ريم حرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد العشرون، 2010.
16. رواينية (الطاهر)، النص الأدبي وشعرية المناصصة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع12، 1997.
17. الزناد (الأزهر)، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1993.
18. الزيدي (توفيق)، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1984.
19. الشبل (عزة محمد)، علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007.
20. شرفي (لخميس)، الرمز الصوفي في شعر عبد الله العشي بين تنوع المصدر وعمق الدلالة، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، 2019.
21. شقروش (شادية)، سيمياء الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث للطباعة والنشر، الأردن، الطبعة الأولى، 2010.
22. عبد المجيد (جميل)، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1989.
23. عفيفي (أحمد)، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، مصر، الطبعة الأولى، 2001.
24. العكيلي (ختام سالم علي)، جماليات البناء اللغوي في الخطاب الشعري عند لميعة عباس عمارة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، 2016.
25. مصلوح (سعد)، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد السادس عشر، العدد الأول، 1997.
26. مفتاح (محمد)، التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2001.

27. الملائكة (نازك)، قضايا الشعر المعاصر، شذرات مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
28. لونجلي وجوليان وسرفاتي وجورج إليا، قاموس التداولية، 2020.
29. فضل (صلاح)، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992.
30. يوسف (أحمد)، النظرية السيميائية من العلامة إلى الخطاب، منشورات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع للدراسات اللغوية وآدابها (41)، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود، الرياض، 2018.
31. موقع جريدة الشرق الأوسط: https://aawsat.com/home/article/175406